

(أ)

س : هل هناك فرق بين آل فلان وأهل فلان ؟

ج : قال ابن القيم في كتاب (جلاء الأفهام) : قالت طائفة : يقال : آل الرجل له نفسه ، وآله لمن تبعه ، وآله لأهله وأقاربه ، فمن الأول قول النبي ﷺ ، لما جاءه أبو أوفى بصدقته : «اللهم صل على آل أبي أوفى» وقوله تعالى ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِنَّ يَأْسِيَنَّ﴾ [الصفات : ١٣٠] وقوله ﷺ «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم» فالآل إبراهيم هو إبراهيم ، لأن الصلاة المطلوبة للنبي ﷺ هي الصلاة على إبراهيم نفسه ، وآله تبع له فيها .

ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا : لا يكون الآل إلا للأتباع والأقارب ، وقالوا : وما ذكروا من الأدلة المراد بها الأقارب . ثم اختار من القولين أن الآل إن أفرد دخل فيه المضاف إليه كقوله ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦] وأما إن ذكر الرجل ثم ذكر آله لم يدخل فيهم .

واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال :

فقال : هم الذين حرّمت عليهم الصدقة ، وفيهم ثلاثة أقوال ، أحدها : أنهم بنو هاشم وبنو المطلب ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه ، والثاني : أنهم بنو هاشم خاصة ، وهذا مذهب أبي حنيفة والرواية الثانية عن الإمام أحمد ، وهي المذهب الذي لا يفتى بغيره عنده ، والثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى «غالب» فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو نوفل ومن فوقهم إلى «غالب» وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك .

والقول الثاني : أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة ، حكاه ابن عبد البر

في «التمهيد» .

والقول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة ، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم ، واختاره بعض الشافعية وغالب العلماء المتأخرين في مقام الدعاء خاصة.

والقول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته ، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة .

هذا ما نقله السفاريني عن جلاء الأفهام لابن القيم ثم تحدث عن الصلة بين الآل والأهل ، فقال : هل أصل آل أهل ، ثم قلبت الهاء همزة فقليل : آل ، ثم سهلت على قياس أمثالها فقليل : آل ، بدليل تصغيره على أهيل ، أو أول من آل يؤول إذا رجع ، فال الرجل هم الذين يرجعون إليه ويضافون ، ويؤولهم أي يسوسهم فيكون مألم إليه ؟ ظاهر كلامه في «جلاء الأفهام» ترجيح الثاني.

وجاء في القاموس : آله أهل الرحم وأتباعه وأولياؤه : ولا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالباً ، فلا يقال : آل الإسكاف كما يقال أهله . قال في القاموس : وأصله أهل ، وأبدلت الهاء همزة فصارت آل ، توالت همزتها فأبدلت الثانية ألفاً ، وتصغيره أويل وأهيل . انتهى .



س : من هم آل البيت ، وما هي مزاياهم ، وهل هم الذين يطلق عليهم اسم الأشراف ، وهل لهم في ملابسهم شعار خاص ؟

ج : يقول الله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قيل : هم مؤمنو بني هاشم وعبدالمطلب ، وجاء في رواية الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها لما نزلت قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين نزلت فيهم الآية؟ فقال « علي وفاطمة وابناهما » وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] وروى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ارقبوا محمداً في أهل بيته » وروى مسلم وغيره عن

زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال : «أذّركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً . فقيل لزيد : مَنْ أهل البيت ؟ قال : من حُرِّمَ الصدقة بعده . قيل : ومن هم ؟ قال : آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . وجاء في عدة روايات في مسند أحمد ومعجم الطبراني وسنن الترمذي ومستدرک الحاكم ، وقال الترمذي : حسنة ، والحاكم : صحيحة : أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين .

ومهما يكن من شيء في بيان المراد من القربى وأهل البيت فإن إكرام المؤمنين منهم مطلوب ، ولهم أحكام فقهية خاصة ، كتحریم إعطاء الزكاة لهم ، واستغنائهم عنها بخمس الخمس من الفيء والغنيمة ، على خلاف بين الفقهاء في ذلك .

وأما إطلاق اسم الأشراف عليهم فقد تولى الإمام السيوطي بحثه في رسالته «الزينية» التي جاء فيها ما نقله الصبان عنه في رسالته «تحاف أهل الإسلام بما يتعلّق بالمصطفى وأهل بيته الكرام» حيث قال : اسم الشريف يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت ، سواء أكان حسنيّاً أم حسينيّاً ، أم علويّاً من ذرية محمد ابن الحنفية أو غيره من أولاد علي بن أبي طالب ، أم جعفريّاً أم عقيليّاً أم عباسيّاً ، ولهذا نجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحوناً في التراجم بذلك .

فلما ولى الخلافة الفاطميون بمصر قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط ، واستمر ذلك بمصر إلى الآن ، قال الحافظ ابن حجر في كتاب الألقاب : الشريف ببغداد لقب كل عباسي ، وبمصر لقب لكل علوي . ٢٥٠هـ . ولا شك أن المصطلح القديم أولى ، وهو إطلاقه على كل علوي وجعفري وعقبلي وعباسي كما صنعه الذهبي ، وكما أشار إليه الماوردي وأبو يعلى في كتابيهما «الأحكام السلطانية» .

فتخصيص اسم الأشراف بأولاد السيدة فاطمة رضي الله عنها أمر اصطلاحى تعارف عليه بعض المسئولين ، وليس أمراً لغويّاً ولا شرعيّاً . ولعل مستندهم في

تخصيص أولاد فاطمة به أنهم ينسبون إلى النبي ﷺ نسبة صحيحة ويسمون أبناءه .
أخرج الطبراني وغيره أن النبي ﷺ قال «كل بني أمّ يتمون إلى عصبه ، إلا ولد فاطمة
فأنا وليهم وأنا عصبتهم» وفي رواية صحيحة «كل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ، ما خلا
ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم» .

وهذه الخصوصية لأولاد فاطمة فقط دون بقية بناته ، فلا يطلق عليه الصلاة
والسلام أنه أب لهم وأنهم بنوه ، كما يطلق ذلك في أولاد فاطمة لأفضليتها ،
ولأنهن لم يعقبن ذكراً ، حتى يكون كالحسن والحسين في ذلك . وقد جرى السلف
والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفاً إذا لم يكن أبوه شريفاً ، فأولاد فاطمة
ينسبون إليه ، وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما وإليه ، وأولاد أختيهما زينب
وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم عبدالله بن جعفر وعمر بن الخطاب ، لا إلى الأم ولا إلى
أبيهما محمد ﷺ ، لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد ابنته .

هذا ، وقد جاء في رسالة الصبان المذكورة أيضاً أن العلامة الخضراء في
ملابس الأشراف ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة ، ولا كانت في الزمن
القديم ، وإنما حدثت سنة ٧٧٣ هجرية بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين -
وعلى هذا فإن إطلاق اسم الأشراف وكذلك العلامة الخضراء من الأمور
التنظيمية لا غير^(١) .



س : هل الشيخ إبراهيم الدسوقي ينتسب إلى آل البيت ؟

ج : ذكر الشعراي^(٢) ، أنه إبراهيم بن أبي المجد بن قريش ينتهي نسبه إلى الحسين
رضي الله عنه ولد في دسوق سنة ٦٣٣ هـ وأمّه فاطمة أخت أبي الحسن الشاذلي ،

١- من أراد الاستزادة فليرجع إلى (المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج٧ ص٣-٢١) ورسالة الصبان
عل هامش (نور الأبصار) للشبلنجي ص١٠٤-١٣٢ .
٢- الطبقات الكبرى ج١ ص١٨١ .

تفقه على مذهب الإمام الشافعي ، ثم تصوف، وعاش من العمر ثلاثاً وأربعين سنة لم يتزوج ولم يغفل عن مجاهدة نفسه حتى توفي سنة ٦٧٦هـ وذكر الشبلنجي^(١) نقلاً عن طبقات المناوي أنه شيخ الطائفة البرهامية ، صاحب المحاضرات القدسية والعلوم اللدنية ، كان يتكلم عدة لغات ويعرف لغات الوحش والطيور وعينه الظاهر يبهرس شيخاً للإسلام .

ومن كلامه : الشريعة أصل والحقيقة فرع ، فالشريعة جامعة لكل علم مشروع ، والحقيقة جامعة لكل علم خفي ، وسرد له بعض الكرامات . ومقامه معروف في مدينة دسوق بمصر ، كان هو وأتباعه يلبسون العمامة الخضراء ، كما كان أتباع السيد أحمد البدوي يلبسون العمامة الحمراء ، وأتباع الرفاعي يلبسون العمامة السوداء.



س : يتعمد بعض الناس أن يقولوا غير الحق مدعين أنه كذب أبيض ، فما حكم هذا الكذب ؟

ج : من الأمور المتفق عليها في الأديان والعقول السليمة أن الصدق فضيلة والكذب رذيلة ، والصدق هو التعبير المطابق للواقع قولاً أو فعلاً ، والكذب هو التعبير المخالف للواقع ، قولاً أو فعلاً ، ومن أخطر الكذب في القول شهادة الزور ، وفي الفعل النفاق ، والوعيد عليها شديد في القرآن والسنة .

ولا يرخص في الكذب إلا لضرورة شأن كل حرام ، فالضرورات تبيح المحظورات والضرورة تقدر بقدرها ، بمعنى أن يكون ذلك في أضيق الحدود إذا لم توجد وسيلة أخرى تحقق الغرض وتمنع الضرر ، ومن هذه الوسائل المشروعة ما يسمى بالمعاريض حيث تستعمل كلمة تحمل معنيين ، يفرض على الإنسان أن يقولها ،

١- نور الأبصار ص ٢٤٢.

فيقولها بالمعنى الحلال لا بالحرام ، ومثلوا لها بما إذا قيل للإنسان اكفر بالله ، فيقول : كفرت باللاهي ، ويريد الشيطان وما يشبهه من كل ما يلهي .

وقد صح في الحديث جواز الكذب لتحقيق مصلحة دون مضرّة للغير تذكر ، وذلك فيما رواه البخاري ومسلم عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » وفي رواية زيادة هي : قالت : ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث ، تعني الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها . والمراد بالحديث بين الزوجين هو عن الحب الذي يساعد على دوام العشرة ، والشواهد عليه كثيرة وليس في أمور أخرى تضر بالحياة الزوجية .

ورأى بعض العلماء الاقتصار في جواز الكذب على ما ورد به النص في الحديث ، ولكن جوزه المحققون في كل ما فيه مصلحة دون مضرّة للغير ، يقول ابن الجوزي ما نصه :

وضابطه أن كل مقصود محمود لا يمكن التوصل إليه إلا بالكذب فهو مباح إن كان المقصود مباحاً ، وإن كان واجباً فهو واجب . كما لو معصوماً اختفى من ظالم يريد قتله أو إيذائه فالكذب هنا واجب ، لوجوب عصمته دم المعصوم ، يعني أن الإنسان الذي يعرف مكاناً اختفى فيه شخص بريء ، وسأله ظالم يريد أن يقتله هل تعلم مكان هذا الشخص ؟ يجب أن يكذب ويقول : لا أعرف ، لأن المحافظة على دم الإنسان المعصوم واجبة ، فلا يتسبب في قتله بإخبار الظالم عنه . وقال ابن القيم ^(١) : يجوز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه ، كما كذب الحجاج بن علاط على المشركين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرّة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب ، وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن فمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب إلى أن قال : ونظير هذا الإمام والحاكم يوهم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك إلى استعمال

١- ز المعادج ٢ ص ١٤٥ .

الحق ، كما أوهم سليمان بن داود عليهما السلام إحدى المرأتين بشق الولد نصفين ، حتى يتوصل بذلك إلى معرفة عين أمه . انتهى .

ومنه كذب عبدالله بن عمرو بن العاص على الرجل الذي أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة ، فلازمه أياماً ليعرف حاله ، وادعى أنه مغاضب لأبيه ^(١) ، ويقاس عليه حلف اليمين لإنجاء معصوم من هلكة ، واستدل عليه بخبر سويد بن حنظلة أن وائل بن حجر أخذه عدو له فحلف أنه أخوه ، ثم ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال « صدقت ، المسلم أخو المسلم » ^(٢) .

ومن هذا الباب كذبات إبراهيم عليه السلام ، وهي معاريض ، حيث قال عندما كسر الأصنام « بل فعله كبيرهم هذا » وعندما طلب لمشاركتهم في العيد « إني سقيم » وقوله عن زوجته : إنها أخته لينقذها من ظلم فرعون ^(٣) الموضوع طويل وله جوانب متعددة ، ونخلص إلى أن الكذب الأبيض هو الذي لا يترتب عليه ضرر وتتحقق به مصلحة مشروعة ، وهو جائز ولكن ينبغي أن يكون في أضيق الحدود . لما فيه من ضرر للغير ولو كان بسيطاً في نظر الكاذب فقد يكون كبيراً في نظر المكذوب عليه . وفي المعاريض مندوحة عنه . وكذلك في المداراة التي هي بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أوهما معاً ، وهي خلاف المداهنة التي يمكن معرفة الفرق بينهما ^(٤) .

هذا ، ونقل عن الغرب ما يعرف بكذبة أبريل وتورط فيها بعض المسلمين والروايات في أصلها كثيرة ، فقليل إن أول من اخترعها أحد ملوك فرنسا في القرن السادس عشر ، وهو شارل التاسع الذي قرر أن تكون بداية السنة في أول يناير بدلاً من أول أبريل كما كانت ، فقابل الناس ذلك بالتذمر ، لأن من عاداتهم فيه تبادل الهدايا ، لأنه رأس السنة ، فاضطروا خوفاً من الملك أن يتبادلوها في

١ - رواه أحمد بسند مقبول (الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١٩) .

٢ - الآداب الشرعية لابن مفلح ويمكن الرجوع في استيضاح هذه النقطة إلى (نيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ٨٥) وإلى (إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٧ ص ١١٩) .

٣ - مصابيح السنة للبعوي ج ٢٥ ص ١٥٧ .

٤ - المواهب اللدنية للقسطلاني (ج ١ ص ٢٩١) وسراج الملوك للطرطوشي (ص ٧٩) وإحياء علوم الدين للغزالي (ج ٣ ص ١٣٨) .

أول يناير مع استمرارهم في تقديمها أول أبريل التي جعلوها تافهة ، وقيل إنها في فرنسا تدعى «سمكة أبريل» لأن موسم الصيد يبدأ في أبريل ، لكن الأسماك تكون قليلة وهزيلة ، وقد يرمي الصياد شبكته فلا يخرج شيئاً أو يخرج شيئاً تافهاً . ومن هناك كانت تسمية سمكة أبريل تقال للشيء التافه أو للكذب ، وقيل غير ذلك .

والمهم أن نعلم أن الكذب لا يجوز إلا في أضيق الحدود حيث تحقق المصلحة به لابوسيلة أخرى من غير مضرّة كبيرة للغير ، والأولى البعد عنه حتى لا يعتاده اللسان ، وفي المعارض مندوحة عنه كما تقدم . وأساس المعارض حسن استخدام الألفاظ ذات المعاني المتعددة المتقابلة . كالذي يقول : أنا أحب الفتنة ، ويريد المال ، وأكره الحق ، ويريد الموت ، وكمن يصف عسل النحل بلفظ تنقزز النفس منه ، كما جاء في كتاب (مفتاح دار السعادة)^(١) :

تقول : هذا جني للنحل تمدحه وإن تشأ قلت : ذاقى الزناير
مدحاً وذمّاً وما جاوزت وصفها والحق قد يعتريه سوء تعبير



س : يمدح كثير من الناس كتاب «الحكم» لابن عطاء الله السكندري ، فمن هو ابن عطاء الله ، وكيف وصل إلى هذه المنزلة ؟

ج : هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري، وهو من أصل عربي ، ولد بالإسكندرية حيث كانت تقيم أسرته ، ولم يعرف تاريخ مولده بالضبط ، فهو ما بين سنة ٦٥٨ هـ ، ٦٧٩ هـ ، كان والده معاصراً لأبي الحسن الشافلي ، شغل ابن عطاء بالعلوم الدينية ، وكان في أول أمره شديد الإنكار على الصوفية ، ثم عدل عن ذلك بعد لقائه بأبي العباس المرسي ، وكان بعد وفاة أبي العباس المرسي سنة ٦٨٦ هـ خليفة لطريقته ، حتى ارتحل إلى

١- ج ١ ص ١٤١ .

القاهرة وتولى التدريس بالأزهر ، وكانت له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطرائق كما يقول ابن تغري بردي ، وتلمذ على يديه كثيرون منهم تقي الدين السبكي ، وكان معاصراً لابن تيمية المتعصب ضد الصوفية .

توفي سنة ٧٠٩هـ ودفن بجبانة السيد علي أبي الوفا تحت جبل المقطم وترك مصنفات كثيرة بلغت اثنين وعشرين ، منها كتابه المشهور «الحكم» الذي شرحه ابن عجيبة.



س : نقرأ في الكتب عن عالم اسمه ابن العربي ، وأحياناً يكتب باسم ابن عربي ، فهل هما شخص واحد أم شخصان ؟

ج : عاش في الأندلس عالمان بين ميلادهما وقت قصير ، لكل منهما اتجاه في العلم، وهذه نبذة عن تاريخ كل منهما ، الأول : هو القاضي أبو بكر بن العربي ولد في أشبيلية في ٢٢ من شعبان سنة ٤٦٨هـ ، واسمه محمد بن عبدالله بن محمد ابن عبدالله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري ، وكنيته أبو بكر . رحل إلى بجاية بالمغرب ثم إلى مصر ثم ذهب مع أبيه إلى بيت المقدس ومر بدمشق ورحل معه إلى بغداد ولقى فيها الإمام الغزالي ثم رآه متصوفاً^(١) ثم حج مع أبيه سنة ٤٨٩هـ ثم عاد إلى دمشق ثم الإسكندرية حيث توفي والده بها ، فعاد هو إلى وطنه سنة ٤٩٣هـ ووصل إلى أشبيلية والحكم فيها كان ليوسف ابن تاشفين ، توفي في سفر قرب «فاس» ودفن بها يوم الأحد من ربيع الأول سنة ٥٤٣هـ.

ومن مؤلفاته : العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ، وقانون التأويل في التفسير ، والقبس في شرح الموطأ : وعارضة

١- شذرات الذهب ج٤ ص١٣ .

الأحوذى شرح سنن الترمذي . والمحصول في علم الأصول «حوالي ٣٥ كتاباً»
- ملخص من ترجمة محب الدين الخطيب في مقدمة كتاب «العواصم من
القواصم».

والثاني : هو محيي الدين ابن عربي ، قال الحافظ محب الدين بن البحار في
ذيل تاريخ بغداد) : هو محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو عبدالله الطائي من
أهل الأندلس ، ولد [في مرسية] ليلة الاثنين سابع عشر من رمضان سنة ٥٦٠هـ
ونشأ بها ثم انتقل إلى أشبيلية سنة ٧٨ فأقام بها إلى سنة ٩٨ ثم دخل بلاد
الشرق ، ودخل بلاد الروم ، وتوفي بالشام - كما قال ضياء الدين المقدسي - ليلة
الجمعة ٢٢ من ربيع الأول سنة ٦٣٨ هـ كان شيخ الصوفية في عصره
ومؤلفاته بلغت المائتين ، في مقدمتها «الفتوحات المكية» في التصوف . كما
يقول بالحلولية ووحدة الوجود أي أن الله حل في كل شيء واحد ، كان
ظاهر المذهب في العبادات باطني النظر في العقائد ، كان يقول الشعر على
الطريقة الصوفية ، يمزج الحب العذري الموروث عن جميل وإخوانه بالحب
الروحي المتصل بالله^(١).

اختلف العلماء في الحكم عليه كما قال السيوطي في رسالته (تنبيه الغبي بتبرئة
ابن العربي) فقال قوم إنه من الأولياء ، وقال آخرون إنه ضال ، وسكت آخرون
عن الحكم عليه ، ثم قال السيوطي : الأفضل عندي اعتقاد ولايته وتحريم النظر في
كتبه إلا للراسخين في العلم .

هذا ، وفي بعض الكتب يذكر اسم ابن عربي للفرق بينه وبين القاضي ابن العربي .
ومن مؤلفاته : فصوص الحكم ، ومحاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار والإسفار
عن نتائج الأسفار .



١- د. عبدالعزيز الكفراوي - مجلة هنا لندن مايو ١٩٧٥م.

س : من هو أبو الحسن الشاذلي وأين دفن ؟

ج : هو أبو الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار ، ينتهي نسبه إلى الحسن ابن علي رضي الله عنهما ، نسب إلى «شاذلة» قرية قرب تونس ولد بقرية تسمى غمارة قرية من سبته وطنجة بالمغرب سنة ٥٩٣هـ وتلقى علومه الأولية بها ، وسافر إلى العراق ثم عاد إلى بلده والتقى بعبد السلام بن مشيش إمام أهل المغرب فأشار عليه بالذهاب إلى شاذلة ثم انتقل إلى تونس ثم إلى مصر فنزل الإسكندرية ونشر بها مذهبه واحتفل الناس به ، قرأ في كتب التفسير والسيرة ، وتفقه عليه العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وعبدالعظيم المنذري وابن الصلاح وابن الحاجب. جاء في كتاب نور الأبصار^(١) أن أهل المغرب نفوه وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه زنديق فاحذروه ، فأذاه أهل الإسكندرية ، فلما ظهرت كراماته اعتقدوه . وذكر له عدة أقوال حكيمة وأدعية كثيرة توفي في ذي القعدة ٦٥٦هـ وهو قاصد الحج في شهر رمضان ، ودفن بصحراء «عيذاب» في «حميثرا» من الصعيد ، وذكر ما نقله ابن بطوطة في رحلته عن ياقوت العرش عن شيخه أبي العباس المرسي أن أبا الحسن الشاذلي كان يحج كل سنة ، فلما كان في آخر سنة خرج فيها قال لخادمه : استصحب فأسأ وقفه وحنوطاً ، فقال له : لماذا ؟ قال «في حميثرا سوف ترى» فلما بلغ حميثرا اغتسل الشيخ وصلى ركعتين فقبضه الله في آخر سجدة ودفن هناك . ولم يترك مؤلفات.

ومن تلاميذه الذين ورثوا علمه أحمد أبو العباس المرسي توفي سنة ٦٨٦هـ وذكر له الشعراني^(٢) أقوالاً حكيمة كثيرة ، ولم يترك كتباً كشيخه الشاذلي . ومن تلاميذ المرسي ياقوت العرش المتوفى بالإسكندرية سنة ٧٠٧هـ ، ومن تلاميذ ياقوت العرش ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٧هـ الذي ألف عدة كتب منها : الحكم والتنوير في إسقاط التدبير^(٣).



١- للشبلنجي ص ٢٤٤ .

٢- الطبقات الكبرى ، ج ٢ ص ٤ .

٣- انظر ص ٢٠ من المرجع السابق .

س : جاء في الأخبار أن عثمان بن عفان رضي الله عنه نفى أبا ذر الغفاري لمكان يسمى الربذة ، فهل هذا صحيح ، وما سبب ذلك ؟

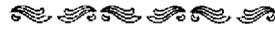
ج : أبو ذر رضي الله عنه من كبار الصحابة وفضلائهم ، وقديم في الإسلام ، يقال - كما قال ابن الأثير في أسد الغابة - إنه أسلم بعد أربعة وكان خامساً ثم انصرف إلى بلاد قومه وأقام بها حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وتوفي بالربذة - موضع قريب من المدينة - سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين .

دعا له الرسول بقوله «يرحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويحشر وحده» روى البخاري عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فإذا بأبي ذر ، فقلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٤] فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، وكان بيني وبينه في ذلك ، فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إليَّ عثمان أن أقدم المدينة ، فقدمتها فكثرت على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تنحيت فكنت قريباً ، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ، ولو أمرُوا عليَّ حبشياً لسمعت وأطعت .

والكثر الذي جاء فيه الوعيد الشديد ليس هو ما دفن في الأرض ، بل هو ما لم تؤد زكاته حتى لو كان على سطح الأرض ، وما أدبت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين كما قال ابن عمر وجابر بن عبد الله ، وهو الصحيح من الأقوال ، وقيل : الكنز ما فضل عن الحاجة ، وهو مروى عن أبي ذر وذلك مذهبه ، يقول القرطبي ^(١) وهو من شدائده ومما انفرد به رضي الله عنه ، ثم يقول : ويحتمل أن يكون مجمل ما روى عنه في هذا ما روى أن الآية نزلت في وقت شدة الحاجة وضعف المهاجرين وقصر يد رسول الله عن كفايتهم ، ولم يكن في بيت المال

١- ج ٨ ص ١٢٥ .

ما يسعهم ، وكانت السنون الجوائح هاجمة عليهم ، فنهوا عن إمساك شيء من المال إلا على قدر الحاجة ، ولا يجوز ادخار الذهب والفضة في مثل ذلك الوقت . فلما فتح الله على المسلمين ووسع عليهم أوجب ﷺ في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين ديناراً نصف دينار ، ولم يوجب الكل ، واعتبر مدة الاستثناء ، فكان ذلك منه بياناً ﷺ . انتهى .



س : لماذا كانت إجازة المدارس في البلاد الإسلامية بعد ظهر الخميس ويوم الجمعة ؟

ج : يقال : إن عمر رضي الله عنه لما شجع الكتاتيب لتحفيظ القرآن ومدارسته بإنشاء أول كُتَّاب بجوار الحرم النبوي كلف عامر بن عبدالله الخزازي بتعليم الأولاد، على أن يكون ذلك بدرس بعد صلاة الصبح إلى الضحى ، ودرس بعد صلاة الظهر إلى العصر ، ولما خرج إلى الشام وغاب شهراً خرج المسلمون على مسيرة يوم للقاءه ومعهم الصبيان ، فكان يوم الخميس ، فتأخر عنهم إلى الغروب ، ثم تعبوا يوم الجمعة ولم يحضروا إلى الكُتَّاب فلما علم عمر بذلك أجازهم هذين اليومين من كل أسبوع^(١) .



س : هل يعتبر الإجماع من مصادر التشريع ، وما هي شروطه ومتى يؤخذ به ؟

ج : الإجماع وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي عملي - تحدث عنه العلماء في إمكان وقوعه وعدم إمكانه ، والأكثر على إمكان وقوعه ، كإجماع الصحابة على كتابة القرآن في مصاحف ، وعلى منع تقسيم الأراضي بين الفاتحين لتكون ملكاً للدولة .

١- (ص ٢ من كتاب : نظام التعليم العربي ، لآدم الأثوري ، وربما نقله من المدخل لابن الحاج ج ٢ ص ٢٢٧)

وكما اختلفوا في إمكان وقوعه اختلفوا في حجيته ، فاتفق علماء السنة على حجيته وخالف في ذلك الخوارج وبعض المعتزلة ، والشيعية يقولون بحجيته لاشتماله على قول الإمام المعصوم ، ومن أدلة الاحتجاج بالإجماع قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عِبْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] فمخالف الإجماع لا يتبع سبيل المؤمنين ، وروى في الحديث «يد الله مع الجماعة» وكذلك «لا تجتمع أمتي على ضلالة» وإن كان في الاستدلال بذلك مقال .

وقال الإمام مالك : إن إجماع أهل المدينة حجة ، لحديث «إن المدينة لتتفي خبثها» كما رواه البخاري ومسلم ، وإن كان الاستدلال به ضعيفاً ، لجواز حمله على الصحابة والتابعين دون غيرهم .

والمجتهدون الذين يعتد بإجماعهم يشترط فيهم أن يكونوا على علم بالقياس ، لأنه لبُّ الاجتهاد ، وألا يكونوا من المبتدعة ، واشترط بعضهم أن يكون للإجماع سند ، من نص أو قياس ، وهناك كلام كثير عنه يمكن الرجوع إليه في كتب الأصول ، أو الجزء الأول من كتاب (بيان للناس من الأزهر الشريف).



س : أين ولد السيد أحمد البدوي ، وبماذا اشتهر عند أهل مصر ، وهل صحيح أن من اعترض عليه يعطبه ؟

ج : السيد أحمد البدوي هو أحمد بن علي بن إبراهيم ، ينتهي نسبه إلى الحسين ابن علي رضي الله عنهما كما قال الشيلنجي^(١) ، أجداده نزحوا من الحجاز في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٣هـ ، إلى بلاد المغرب ، ولد بفاس سنة ٥٩٦هـ وذهب مع أبيه وأمه فاطمة بنت محمد بن أحمد وإخوته سنة ٦٠٣هـ للحج ، فحج وعمره إحدى عشرة سنة عام ٦٠٧هـ وأقام بمكة . وعرف

١- نور الأبصار ص ٢٣٧.

بالبدوي لكثرة ما كان يتلثم ، عرض عليه أخوه الزواج فامتنع وأقبل على القرآن ، واشتهر بمكة بالشجاعة وسمي العطاب والغضبان ، ثم اعتزل الناس ، ورأى في المنام من يأمره بالسفر إلى طندتا «طنطا» فسار هو وأخوه حسن إلى العراق وقابل عبدالقادر الجيلاني وأحمد الرفاعي ثم عادا إلى مكة ولزم الصيام والقيام ، ثم سار من مكة سنة ٦٣٤هـ وأخيراً وصل مصر فنزل طندتا في ١٤ من ربيع الأول سنة ٦٣٧هـ وحل بمنزل أحد مشايخ البلد واسمه «ابن شحيط» ساهراً على السطح ، وكان من تلاميذه عبدالعال ولازم السطح ١٢ سنة ، وكان الظاهر ببيرس يزوره .

لما حفظ القرآن بمكة اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعي قبل أن يتصوف ، زاره في طنطا تقي الدين بن دقيق العيد قاضي قضاة مصر واعترض على عدم صلاته مع الناس ، ويقال إنه أطاره إلى مكان بعيد قابله فيه الخضر وأرشده إلى الاعتذار لأحمد البدوي الذي يصلي بالناس في قبة معينة ، ففعل فأعادته إلى بيته ، وذكر الشعرائي له كرامات أخرى منها أنه جاء بالأسير من بلاد الفرنجة مقيداً مغلولاً سنة ٦٤٥هـ توفي أحمد البدوي سنة ٦٧٥هـ .

ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الطبقات الكبرى^(١) والله أعلم بالكرامات التي ذكرها له ، وإن كان أصل الكرامة للصالحين أمراً مسلماً به ، لأنها من نوع المعجزات الخارقة للعادة التي تظهر على أيدي الأنبياء من أجل التحدي وإثبات صدق الرسالة .



س : نسمع بعض الناس يقولون : الأدب فضلوه على العلم ، فما هو هذا الأدب المفضّل على العلم ؟

ج : جاء في كتاب غذاء الألباب^(٢) أن الأدب في اللغة الظرف وحسن التناول ، يقال : أدّب كحسّن فهو أديب ، وجمعه أدباء ، وأدّبه علمه فتأدّب ، قاله في القاموس ،

١- للشعرائي ج ١ ص ١٨٣ .
٢- للسفاري ج ١ ص ٢٣ .

وفي (المطلع) الأدب -بفتح الهمزة والداال- مصدر أدب الرجل -بكسر الداال-
وضمها لغة - إذا صار أديباً في خلق أو علم ، والخلق -بضم الخاء واللام- صورة
الإنسان الباطنة ، وفتح الخاء صورته الظاهرة .

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : الأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً ،
وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق . وقيل : الوقوف مع المستحسنات :
وقيل : هو تعظيم من فوقك ، والرفق بمن هو دونك . انتهى .

وقال السهروردي : الناس على طبقات ، أهل الدنيا وأهل الدين وأهل
الخصوص ، فأدب أهل الدنيا الفصاحة والبلاغة وتحصيل العلوم وأخبار الملوك
وأشعار العرب ، وأدب أهل الدين مع العلم رياضة النفس وتأديب الجوارح
وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات وتجنب الشبهات . وأدب أهل
الخصوص حفظ القلوب ورعاية الأسرار واستواء السر والعلانية .

وقال ابن فارس : الأدب دعاء الناس إلى الطعام ، والمأدبة الطعام لسبب أو غيره
والآدب -بالمدة- الداعي ، واشتقاق الأدب من ذلك كله أمر قد أجمع على
استحسانه ، وفي الحديث «القرآن مأدبة الله في الأرض» يعني مدعاه ، شبه القرآن
بصنيع صنعه الناس لهم فيه خير ومنافع ، وفي العرف ما دعا الخلق إلى المحامد
ومكارم الأخلاق وتهذيبها .

يقول السفاريني : اعلم أن تعلم الآداب وحسن السمات والقصد والحياء
والسير مطلوب شرعاً وعرفاً .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال «الهدى الصالح
والسمت والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» وقال النخعي : كانوا إذا أتوا
الرجل ليأخذوا عنه -العلم- نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله ، ثم يأخذون عنه . قال
عمر رضي الله عنه : تأدبوا ثم تعلموا . وقال ابن عباس : اطلب الأدب فإنه زيادة في العقل
ودليل المروءة ، مؤنس في الوحدة وصاحب في الغربة ومال عند القلة^(١) .

١- رواه الأصبهاني في منتخبه .

وقال أبو عبدالله البلخي : أدب العلم أكثر من العلم . وقال الإمام عبدالله ابن المبارك : لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب^(١) . ويروى عنه أيضاً أنه قال : طلبت العلم فأصبت منه شيئاً ، وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا . وقال بعض الحكماء : لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب ، وكان يقال : العون لمن لا عون له الأدب . وقال الأحنف بن قيس : الأدب نور العقل كما أن النار نور البصر .

وقال الحجاوي في شرحه : يقال : مثل الإيوان كمثل بلدة لها خمسة حصون ، الأول من ذهب ، والثاني من فضة ، والثالث من حديد ، والرابع من آجر - طوب أحمر - والخامس من لبن - طوب نبي - فما زال أهل الحصن متعاهدين حصن اللبن لا يطعم العدو في الثاني ، فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ثم الثالث حتى تحرب الحصون كلها ، فكذلك الإيوان في خمسة حصون : اليقين ثم الإخلاص ثم أداء الفرائض ثم السنن ثم حفظ الآداب . فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطعم فيه ، وإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ثم في الفرائض ثم في الإخلاص ثم في اليقين .



س : كيف خلق الله الأرض ؟

ج : أهم الآيات التي تحدثت عن خلق الأرض هي قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] وقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد: ٤١] وقوله ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ ﴾ [النازعات : ٣٠ ، ٣١] وقوله ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ ﴿١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ

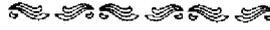
١ - ذكره الحاكم في تاريخه .

سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ [فصلت: ٩-١٢].

تفيد هذه الآيات وغيرها أن الله خلق الأرض في يومين من أيام يعلمها هو وشكّلها وقدّر فيها أقواتها في يومين آخرين يُكَمِّلان أربعة أيام ، وأنه خلق السماء من دخان سوّى منه سبع سموات ، وأنه دحا الأرض أي بسطها أو جعلها كالذّحية وهي البيضة ، وأن السموات والأرض كانتا رتقا ، أي صلبتين فصدع الأرض بالنبات وفتق السماء بالمطر كما قال المفسرون القدماء ، أو كانتا كتلة واحدة ففصلها الله بعضهما عن بعض كما يقول علماء العصر ، وأنه سبحانه ينقص الأرض من أطرافها وللعلماء في ذلك تفاسير كثيرة منها التعمير والتخريب بعوامل التعرية أو بالزلازل والبراكين ، وقد يراد بذلك أنها غير تامة التكوير ، أو أن الغازات المحيطة بها تنطلق خارجها . والمهم في كل ذلك أن الله سبحانه خلق الأرض وأودع فيها كل ما يحتاجه الإنسان قبل أن يهبط إليها من الجنة ، وسخر له كلّ ما فيها ليحقق الخلافة فيها بالإيمان بالله الذي خلقها وشكّره على نعمه التي يتقلب فيها ، هذا القدر من المعرفة هو الواجب علينا أن نؤمن به ، أما تفاصيل هذا الخلق والمكونات الأساسية للأرض فقد أمرنا سبحانه بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، والبحث في أسرار الكون ، ليؤمن من لم يؤمن ، وليزداد المؤمن إيماناً بربه ويستطيع الاستفادة من هذا الخلق ، وما يصل إليه الباحثون من آراء قد يكون حقيقة وقد يكون ظناً ، والظن لا يغني عن الحق شيئاً ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] والحقيقة العلمية لا يمكن أبداً أن تصادم حقيقة دينية ، فكل الحقائق نواميس خلقها الله سبحانه ووحى صادق لا يرقى إليه الشك.

والواجب ألا نفرس القرآن إلا بالحقائق ، أما حمّله على النظريات التي لم تصل بعدُ إلى درجة الحقائق فلا يجوز ، فقد يظهر بعد ذلك كذب هذه النظريات . كما أن الواجب هو البحث المستمر في الكون أرضه وسماؤه ليعمق إيمان المؤمنين ، وليستطيع بنو آدم الاستفادة من مسخرات هذا الكون ، وتوجيهه إلى المصلحة التي

يشعرون معها بسعادة الدنيا ويستطيعون من خلالها جمع الذخيرة التي تسعدهم في الحياة الأخرى. فالإسلام دين العلم الواسع الذي لاتحده حدود ، ودين العمل التطبيقي الذي يثمر الخير على المنهج الذي رسمه الله بقوله : ﴿ فَمَنْ أَتَعَ هَدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه: ١٢٣] .



س : ما زالت بعض الكتب تذكر أن الأرض محمولة على قرن ثور ، وأن الزلازل تكون عندما يغيّر حملها فينقلها إلى قرنه الآخر ، فهل لهذا الكلام أصل ؟

ج : نعم لهذا الكلام أصل ولكنه كاذب وهو منقول عن وهب بن منبه الذي تنقل عنه أخبار عجيبة ، وذكره صاحب كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) وذكر فيه غرائب في كيفية حمل الثور للأرض ، وأن له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وأفواه وقوائم ، واسمه «كيوثا» وهو قائم على حوت كبير لو وضعت البحار كلها في إحدى مناخره لكانت كخردلة في فلاة ، واسمه «بهموت» ... وكل هذا كلام لا دليل عليه من قرآن أو سنة صحيحة ، ولم يقل به أحد من العلماء المختصين ، وإن كان علمنا بالكون ما يزال ضئيلاً ، فنترك ذلك إلى الله ، ولنحاول أن نستفيد مما سخره الله لنا فيه ، ولنحذر كل الحذر مما تمتلئ به بطون الكتب القديمة من الخرافات والإسرائيليات^(١).



س : ما حكم الدين في أكل الأرنب الذي يسلخ جلده بعد ذبحه مباشرة ؟

ج : المعتاد أنه لايسلخ جلد الأرنب إلا بعد أن يموت مذبوحاً مَوْتاً كاملاً ، وإن كان بعض أجزاء الأرنب حتى بعد سلخه وتقطيعه يتحرك حركة يشاهدها الناس ، ولكنها ليست حركة حياة .

١- انظر مادة -ثور- في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري.

- والمختصون لهم تفسير علمي لذلك - فلو سلخ جلده وهو لا يزال يتحرك بشدة كان السلخ مشتركاً مع الذبح في خروج روحه ، وعليه فيحرم أكله .



س : بعض الناس يشككوننا في أكل لحم الأرنب ، فما هو الرأي الصحيح في ذلك ؟

ج : قال كمال الدين محمد بن موسى الدميري (٧٤٢ - ٨٠٨هـ) في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة ، إلا ما حكى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وابن أبي ليلى رضي الله عنهم أنها كرها أكلها . وحجتنا ما روى الجماعة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أنفجنا أي أثرنا ، أرنباً بمر الظهران فسعى القوم عليها فغلبوا فأدركنها فأخذتها وأتيت بها أبا طلحة ، فذبحها وبعث إلى النبي ﷺ بوركها وفخذها فقبله ، وفي البخاري في كتاب الهبة أن النبي ﷺ قبله وأكل منه . ولفظ أبي داود : كنت غلاماً حزوراً فصدت أرنباً فشويتها ، فبعث معي أبو طلحة رضي الله عنه بعجزها إلى النبي ﷺ والحزور - بتشديد الواو وتخفيفها - المراهق .

وقد سئل عنها رسول الله ﷺ فقال «هي حلال» وروى أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان عن محمد بن صفوان أنه صاد أرنبين فذبحهما بمروتين - حجرين براقين - وأتى النبي ﷺ فأمره بأكلها .

واحتج ابن أبي ليلى ومن وافقه بما روى الترمذي عن حبان بن جزء عن أخيه خزيمة بن جزء رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ما تقول في الأرنب ؟ قال ﷺ «لا أكله ولا أحرمه» قال : فقلت : ولم يا رسول الله ؟ قال «إني أحسب أنها تدمي» أي تحيض قال : فقلت : يا رسول الله ما تقول في الضبع ؟ قال رسول الله «ومن يأكل الضبع»؟!^(١) وفي بعض الروايات : وسألته عن الذئب فقال «لا يأكل

١ - قال الترمذي إسناده ليس بالقوي ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وذكر فيه الثعلب والضبع أيضاً .

الذئب أحد فيه خير» وليس في شيء من الأحاديث وإن ضعفت ما يدل على تحريم الأرنب وغاية ما في هذين الخبرين استقذارها مع جواز أكلها .

ثم ذكر الدميري (الأرنب البحري) وهو - كما قال القزويني - حيوان رأسه كرأس الأرنب وبدنه كبذن السمك ، وقال الرئيس ابن سينا : إنه حيوان صغير صدي ، وهو من ذوات السموم إذا شرب منه قتل . ثم قال الدميري : يحرم أكله لسميته ، ويستثنى من قولهم : ما أكل شبهه في البر أكل شبهه في البحر ، لأنه ليس يشبهه في الشكل ، وإنما هو موافق له في الاسم .



س : ما هو الإرهاب ، وما موقف الإسلام منه ؟

ج : الإرهاب هو التخويف ، والرهبة هي الخوف ، وكل العباد لابد أن يرهبوا الله أي يخافوه قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠] . ومع تخويف الله بعقاب العصاة ، يكون الرجاء بثواب الطائعين ، قال تعالى ﴿ تَتَجَمَّعُونَ إِلَيْهِ فَأَنذَرُ الْأَكْفَابُ ۝١١ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝١٢ ﴾ [الحجر : ٤٩ ، ٥٠] وهذان الأمران لابد أن يلازما كل إنسان في حياته ، وإن قال العلماء : ينبغي تغليب الخوف على الرجاء ووضح ذلك كبارهم فقالوا : ينبغي تغليب الخوف على الرجاء في فترة الشباب وتوافر أسباب القوة التي قد تدعو إلى الانحراف ، أما في فترة الضعف بكبر السن وقرب الأجل فينبغي تغليب الرجاء على الخوف ، قالوا ذلك عند شرح البيت الشعري في العقائد :

وغلب الخوف على الرجاء

وسر لمولك بلا تناء

والله سبحانه يرهبنا أي يخوفنا من عقابه إن انحرفنا فيقول ﴿ وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] والإنسان يرهب غيره بأساليب متنوعة ولأغراض متعددة فإن كان لغرض مشروع كالتأديب والنهي عن المنكر كان مشروعاً ، ومنه تأديب الصبي إذا ترك الصلاة ، «واضربوهم عليها لعشر» وتأديب

الزوجة الناشز ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ سُوءَ بَعْضِهَا فَطَعُونَهَا بِأَعْيُنِكُمْ وَأَصْرُوهَا بِالْأَعْيُنِ﴾ [النساء : ٣٤] ومنه إرهاب العدو منعاً لعدوانه علينا ، وذلك بالاستعداد لمقاومته وبوسائل أخرى كالدعاية لتخويله ، قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

أما الإرهاب بدون سبب مشروع فهو محرم ، ذلك أن الإسلام دين السلام ، لا يبدأ بعدوان ويؤثر السلامة على المخاطرة التي لم نلجأ إليها ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة : ٢٠٨] وهو دخول في السلم بين المسلمين بعضهم مع بعض وبينهم وبين غيرهم ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال : ٦١] وموقف النبي ﷺ في صلح الحديبية تطبيق عملي لهذا المبدأ العظيم ، وواعد إن جاءوه بخطة سلم قبلها منهم ، وكانت شروط الصلح مؤكدة لذلك ، حتى إن بعض الصحابة شعر فيها بشيء من الذلة والضعف ولكن حكمة الرسول ﷺ بددت كل ذلك ، وهو القائل في حديثه الذي رواه البخاري ومسلم ، وقد انتظر العدو في بعض أيامه حتى مالت الشمس «يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» .

وذلك كله إيثار للسلم والأمن الذي هو نعمة أساسية في حياة الإنسان كما في الحديث الذي رواه الترمذي «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» .

وقد امتن الله بالأمن على قريش فقال ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنَ خَوْفٍ﴾ [قريش : ٤٠] وجعل مكة حرماً آمناً ، وأقسم أنها البلد الأمين ، وواعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وكذلك من آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي شرك ، وجعل سلب الأمن عقاباً لمن كفر بأنعم الله ، وشرف

السلام فكان اسماً من أسمائه وسمي به الجنة وجعله تحية المسلمين فيما بينهم وتحية الملائكة لهم في الجنة وكان نزول القرآن في ليلة السلام ، وكل ذلك وردت به النصوص في القرآن والسنة^(١).

ومن أجل الحفاظ على الأمن والسلام حرم الاعتداء على الحقوق ووضع لها عقوبات صارمة فحرم القتل والسرقة وانتهاك الأعراض بالزنا والقدح والالتهام ، وحرم الإفساد في الأرض وعده محاربة لله ورسوله ، كما حرم الإسلام كل ما يقلت الأمن ويساعد على التفرق والمنازعات ، كالربا والبخل والنميمة وشهادة الزور والخيانة والكبر والهجران ، وإيذاء الصلح مع من طلبه والاعتداء على المخالف في العقيدة ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة : ٧] إلى غير ذلك من الإجراءات التي ذكرت كثيراً منها في كتابي المشار إليه .

وبلغ من اهتمام الرسول ﷺ بالمحافظة على أمن الناس أنه قال «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه»^(٢) وقال «من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله ألا يؤمنه من فزع يوم القيامة» وروى أبو داود أن بعض الصحابة كان يسير مع النبي ﷺ فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى جبل معه فأخذه ففزع فقال ﷺ «لا يجل لمسلم أن يروع مسلماً» وفي حديث رواه الترمذي بسند حسن «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً» وفي حديث رواه البزار والطبراني وغيرهما عن عامر بن ربيعة أن رجلاً أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال «لاتروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم» وروى الطبراني أن عبد الله بن عمر سمع النبي ﷺ يقول «من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله ألا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة» بل إن النظرة المخيفة نهى عنها الحديث الذي رواه الطبراني «من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه بها بغير حق أخافه الله يوم القيامة» وبخصوص الإرهاب بالسلاح جاء الحديث الذي رواه البخاري ومسلم

١- انظر كتابنا : دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة.

٢- رواه مسلم.

«لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان يترع في يده فيقع في حفرة النار» ومعنى «يترع» بكسر الراء والعين يرمي ، وروى «ينزغ» بالزاي المفتوحة وبالعين ، ومعناه أيضاً يرمي ويفسد ، وأصل الترع الطعن والفساد^(١).

وتكفي هذه النصوص لبيان أن تخويف الأمن بدون وجه حق من المنكرات التي تتنافى مع الأخوة الإنسانية ، والتي تحول دون التطور الذي يلزمه الهدوء والاطمئنان على الحقوق ، تلك المنكرات التي تهوي بالإنسان الذي كرمه الله إلى درك الوحوش في الغابات التي تسيرها الغرائز ويتحكم فيها منطق الأثرة والأنانية والقوة.



س : يشكو الناس كثيراً من سوء معاملة الأسرى في الحروب ، حتى الحروب التي تقع بين المسلمين بعضهم مع بعض ، نريد معرفة هدي الدين في ذلك؟

ج : يقول الله تعالى ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشْتَرِ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَلِمَةٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ [الأنفال : ٦٧-٦٩].

ويقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا انْحَرَسْتُمْ فَسُدُّوا أَلْوَابَكُمْ وَأَقْبُوا إِلَيْكُمْ فَكُلُوا مِمَّا بَعَدُ وَإِنَّمَا فَدَاؤُهُمْ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أوزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤].

ويقول : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب : ٢٦].^(٢)

١- الترغيب والترهيب للمنذري ج ٣ ص ١٩٨.

٢- صياصيمهم : حصونهم.

نزلت هذه الآيات في المدينة ، والآية الأولى نزلت في غزوة بدر ، والثانية قيل :
نزلت قبلها وقيل بعدها ، والثالثة نزلت في غزوة الأحزاب .

ومعنى «يشخن في الأرض» يكثر القتل ويبالغ فيه ، ومعنى «عرض الدنيا»
ما كان يريده البعض من الفداء بالمال ، ولم يقصد به النبي ﷺ ولا كبار الصحابة ،
ومعنى ﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقٌ﴾ سبق حكمه بأنه لا يعذب أحداً إلا بعد نبيه ،
لولا ذلك لعذبتكم ، ثم أحلها الله فقال ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا﴾ وقيل في المعنى :
لولا سبقكم بالإيمان بالكتاب وهو القرآن الذي استحققتم به الصفح والعفو ،
أو لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنه حلال لكم لعوقبتهم . بل قال البعض :
إن هذه الآية ليس فيها إلزام ذنب للنبي ﷺ لأنها تعني : ما كان لنبي قبلك أن
يكون له ذلك ، ولكنك خصصت بجوازه ، كما في الحديث الشريف «أُحِلَّتْ لِي
الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» .

على أن الآية الثانية قد بررت ما فعله الرسول من اختياره بعد المشاورة رأي
أبي بكر في أخذ الفداء حيث تقول ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وأقر الله النبي
والصحابه على ما أخذوه ، وأنزل تطيباً لبعض الأسرى الذين كانوا يريدون
القتال بعد أن أخذ منهم الفداء ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ
يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا فَرَأَىٰ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال : ٧٠] .

ومما ورد من الأحاديث في شأن الأسرى أن النبي ﷺ استشار أصحابه في
أسارى بدر فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه بأن يأخذ منهم فدية يتقوى بها
المسلمون ويطلقهم ، لعل الله أن يهديهم إلى الإسلام ، وقال عمر رضي الله عنه :
أرى أن تمكنا منهم يا رسول الله فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر ، فقال
الرسول إلى رأي أبي بكر ، فلما كان من الغد أقبل عمر فإذا رسول الله يبكي هو
وأبو بكر ، فقال : من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ،
وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ «أبكي للذي عرض عليَّ
أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة ..»
وأنزل الله ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ ...﴾ .

وقد تكلم العلماء في أي الرأيين أصوب فرجحت طائفة قول عمر ، بدليل هذا الحديث ورجحت طائفة أخرى قول أبي بكر ، وذلك لاستقرار الأمر عليه وموافقته للكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ، ولموافقته للرحمة التي غلبته الغضب ، ولتشبيه الرسول لأبي بكر في ذلك بإبراهيم عليه السلام إذ قال ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَفُورٌ رَجِيمٌ﴾ [إبراهيم : ٣٦] وبعيسى عليه السلام في قوله ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] كما شبه عمر في رأيه بنوح عليه السلام في قوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح : ٢٦] وبموسى عليه السلام في قوله ﴿رَبَّنَا أَطْمِئِنَّا عَلَى أَمْوَالِنَا وَأَسَدُّ عَلَى قُلُوبِنَا فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس : ٨٨] .

وبكاء النبي ﷺ كان رحمة لنزول العذاب على من أراد بذلك وجه الدنيا ، والرسول لم يرد هو ولا أبو بكر وجه الدنيا ، ولكن العذاب لو نزل فسيعم الجميع . وقد ثبت من الأحاديث والتاريخ الموثوق به أن النبي ﷺ سلك مع الأسرى عدة طرق :

- ١- فمنهم من أمسكه وضرب عليه الرق ، سواء أكانوا من أولاد العرب أم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى .
- ٢- ومنهم من أمر بقتله ، مثل عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، وذلك لشدة عداوتها للنبي ﷺ وكان ذلك في رجوعه من غزوة بدر ، وقال «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التني لتركتهم له» وكيهود بني قريظة .
- ٣- ومنهم من فداه بالمال ، كعمه العباس في غزوة بدر ، وقد استأذنه الأنصار أن يترك له فداءه ، فقال «لاتدعوا منه درهما» كما رواه البخاري .
- ٤- ومنهم من جعل فداءه عملاً يؤديه للمسلمين ، كبعض أسرى بدر الذين اقتدوا أنفسهم بتعليم أولاد الأنصار الكتابة ، وكان منهم زيد بن ثابت .

٥- ومنهم من مَنَّ عليه الرسول بغير مقابل ، كأبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب وأبي عزة الجمحي الذي تركه بدون مال لما ذكر له كثرة بناته ، وسبي هوازن ردَّهم بعد القسمة للغنائم واستطاب قلوب الغانمين فطيبوا له -أي وافقوا- ومن لم تطب نفسه بذلك عَوَّضه بكل إنسان ستاً من الأنعام في الزكاة.

٦- وثبت أنه ﷺ بادل أسرى المسلمين بأسرى الكفار ، فقد استوهب من سلمة ابن الأكوع جارية نفلها إياه أبو بكر في غزوة فزارة -كما رواه مسلم- فوهبها له ، فبعث بها إلى مكة ففدى بها ناساً من المسلمين ، وفدى رجلين من المسلمين برجل من عقيل .

وأسر ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة ، فربطه في سارية المسجد ثم أطلقه فأسلم ، كما رواه مسلم ، كما هبط عليه في صلح الحديبية سبعون متسلحون يريدون غرته فأسرهم ثم مَنَّ عليهم .

وإزاء هذه المرويات من فعل النبي ﷺ اختلف الفقهاء في الأسرى ، فذهب الجمهور ومنهم الشافعي -إلى أن الإمام مخيَّر فيهم ، إن شاء قتل كما فعل ببني قريظة، وإن شاء فادى بهال كبعض أسرى بدر ، وإن شاء مَنَّ بلا شيء وإن شاء استرقَّ من أسر . غير أن الأوزاعي وسفيان ومالكاً يكرهون أخذ المال من الأسير ، لما في ذلك من تقوية العدو بالرجال .

وهذا التخيير متروك للإمام ليفعل ما فيه المصلحة ، وقد روى عن علي أن جبريل أمر النبي أن يخيَّر أصحابه في الأسارى ، إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء . ولكن الإمام أبا حنيفة يقول : إن التخيير قد نُسخ ، والحكم الآن هو : إما القتل وإما الاسترقاق . ويقول مجاهد من علماء التابعين : ليس اليوم منُّ ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق .

ومنشأ الخلاف في التخيير وعدمه هو آية ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَنفَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا لَوْلَاكَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ فقال أبو حنيفة : إن الحرب هنا في الآية هي بدر، فالمن

والفداء هو في بدر فقط ، وأما بعدها فالحكم هو القتل أو الرق ، فالغاية على هذا هي للامن والفداء حتى يكون الحكم منسوخاً ، فإن جعلت الغاية للإثخان وشد الوثاق - أي القتل والأسر - كان المراد بالحرب جنسها ، يعني أي حرب كانت ، لكن الجمهور يرى أن الغاية هي للامن والفداء مع إرادة جنس الحرب .

وقال العلماء أيضاً : إن من أسلم قبل الأسر لم يسترق - أي لا يضرب عليه الرق - وأن النبي ﷺ بعد غزوة بدر لم يفد بالمال ، بل كان يمن أو يفادي أسيراً بأسير .

هذا وقد أوصى النبي ﷺ بالأسرى خيراً ، فقد ثبت أنه لما وزع الأسرى على الصحابة قال لهم «استوصوا بالأسرى خيراً» ويقول أحدهم - وهو أبو عزيز بن عمير - كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية الرسول إياهم بنا . وكان الفداء ما بين ١٠٠٠ ، ٤٠٠٠ درهم كما يراه الرسول من حال الأسير .

هذا هو الحكم في الأسرى من الكفار ، أما أسرى الحروب بين المسلمين فلا تنطبق عليهم كل هذه الأحكام وبخاصة القتل والاسترقاق ، والواجب معاملتهم بالحسنى فإن كثيراً منهم أو أكثرهم مضطروا إلى خوض المعركة ، لصرامة القوانين العسكرية^(١) .



س : أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الإسلام ديناً عاماً للعالم كله ، فلماذا أنزل الديانات السماوية الأخرى ؟

ج : الأديان السماوية رسالات إصلاح ، والحكمة تقتضي أن يكون كل دين متناسباً مع حاجات العصر الذي نزل فيه ، ومشكلات القوم الذين أرسل إليهم

١ - زاد المعاد لابن القيم في باب الجهاد ، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية في غزوة بدر ، وسيرة ابن هشام في غزوة بدر ، وشرح النووي على صحيح مسلم في كتاب الجهاد وكتب التفسير والفقهاء .

الرسول ، والاجتماع البشري في تطور دائم ، والاتصال بين الأمم والشعوب له مجاله المحدود وإمكاناته المتناسبة مع الظروف ، من أجل هذا كان الله سبحانه يرسل رسولاً إلى قوم مخصوصين برسالة معينة لا يكلف بها غيرهم ، وقد يحدث أن يبعث الله رسولين في عصر واحد لجماعتين مختلفتين لاختلاف السلوك الفكري والاجتماعي ، وصعوبة مباشرة مهمة الإصلاح مع أكثر من جماعة .

ودين الإسلام جاء والاجتماع البشري وصل إلى درجة كبيرة من الرقي في عقله وثقافته وفي حضارته ومدنيته ، وسهولة الاتصال بين وحداته المقيمة في أماكن مختلفة بشكل أحسن من ذي قبل ، ولهذا كان أسلوب الدعوة يخالف أسلوبها في الأديان السابقة مخالفة كبيرة ، فدعا محمد ﷺ قومه بمعجزة القرآن التي لا يمكن للإنس والجن أن يأتوا بمثلها على مر العصور ، وقد أكد الواقع ذلك ، وكانت مبادئه متناسبة مع رقي البشرية وتمشية معه إلى أن تقوم الساعة ، وذلك بفضل القواعد والكليات التي يمكن تطبيقها في كل عصر ومصر .

لهذا ولغيره كان الإسلام هو الدين العام الخالد ، لا حاجة بعده إلى دين ، وكان نزوله متناسباً مع عصره ومع كل العصور المتتالية ، وقد نزل بعد أن بلغت البشرية رشدها وأصبح الاتصال بين بلادها القريبة والبعيدة ممكناً للبلاغ عن الله .

والخلاصة أن كل دين يأتي به رسول كان متناسباً مع ظروف قومه ، ودين الإسلام جاء متناسباً مع عصره الراشد ومتابعاً رشدته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن هنا جاء قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

تلك إشارة بسيطة في الإجابة عن السؤال ، أما تفصيل ذلك فهو في الكتب التي تناولت القضية ، ومن أهمها كتاب (الدعوة الإسلامية دعوة عالمية).



س : يتهم بعض الناس الإسلام بأنه دين قديم لا يصلح للعصر ، وذلك من واقع النداءات التي تدعو إلى القديم وتقاطع الجديد ، فكيف نرد على هذا الاتهام ؟

ج : مبدئياً نقول : من الخطأ أن يُحكم على المبدأ من سلوك من يمارسونه ، فقد تكون الممارسة خطأ والمبدأ صحيحاً ، ومن هذا المنفذ وجه الأعداء تهماً كثيرة إلى الدين الإسلامي بناء على حال من يمارسونه في هذه الأيام بالذات وكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام يهملون تعاليمه أو يتمسكون بقشور ليست من صميم الدين كما هو حاصل في هذه الأيام من الحملة الشرسة على الإسلام من واقع سلوك المنحرفين الذين يتورطون في أخطاء جسيمة باسم الدين .

وإذا أُريد الحكم على المبدأ من واقع تطبيقه فليكن ذلك ممن طبقوه تطبيقاً صحيحاً، فالإسلام وهو الدين الحق لإخراج الناس من الظلمات إلى النور -فهمة الأولون فهماً صحيحاً وطبقوه تطبيقاً صحيحاً فكان لهم السلطان والقوة وتحقق فيهم وعد الله لمن آمن واعتنق الإسلام وطبقه بصدق ، والتاريخ شاهد على ذلك ، وفي هذا يقول الله سبحانه ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] .

إن الدين الإسلامي خاتمة الأديان ورسوله خاتم الرسل ، فلا بد أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان ، وليس من رحمة الله أن يترك عباده بدون رسالة حتى تقوم الساعة، ومن هنا جاء الإسلام وفيه كل العناصر والمقومات التي تتجاوب مع التطور تحت ظل القيم والثوابت التي لا تتغير بتغير البيئات والعصور .

إن التطور نزعة فطرية تقوم على الانتقال من حال إلى حال أحسن . وهذه النزعة هي سر الحركة والنزوع إلى الكمال المادي والأدبي ، والأديان بوجه عام تقر هذه النزعة لأنها أمر حتمي لا يمكن التمرد عليه ، ومهمة الأديان هي التوجيه

الإرشاد ، والأديان نفسها من ظواهر التطور ، فقد كانت خاصة ينسخها الدين الذي يليها ، ثم كملت وصارت عامة بمجيء دين الإسلام .

ومن مظاهر موافقة الإسلام للتطور ما يأتي :

١- أنه يدعو إلى الأخذ بالأحسن من كل شيء ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] ولا يرضى عن القناعة بالدون ما دام الأفضل ميسراً ، ففي الحديث «إن المؤمن لا يشبع من خير حتى يكون منتهاه الجنة»^(١).

٢- أنه يمجّد القوة في كل شيء في الماديات والروحانيات ، ففي الحديث «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»^(٢).

٣- حذر من الجمود على القديم إذا كان فاسداً ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدْيَ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف : ٢٣ ، ٢٤] .

٤- أقر الإسلام التجديد في نطاق الثوابت ، ففي الحديث «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^(٣).

٥- شجع الإسلام على العلم فهو أساس التطور ، ورفع قدر العلماء ، والنصوص في ذلك كثيرة ، والمراد بالعلم كل معرفة تفيد الفرد والجماعة في إطار الدين ، وذكر القرآن في الآيتين : ٢٧ ، ٢٨ من سورة فاطر ما يؤكد أن العلماء الذين يؤمنون بالله أو يزدادون به إيماناً ويخشون عقابه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ هم علماء الفلك والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان وطبقات الأرض والعلوم الإنسانية كلها من طب واجتماع وفلسفة وغير ذلك .

٢- رواه مسلم .

١- رواه الترمذي وحسنه .

٣- رواه الحاكم وصححه .

٦- أمر الإسلام بالعمل وتطبيق العلم ، وشجعه في كل المجالات الزراعية والصناعية والتجارية وغيرها ، والنصوص في ذلك كثيرة لا يتسع لها المقام^(١).

٧- وإذا كان الإسلام يقر التطور المادي فذلك في نطاق الدين كما سبق ذكره ، ومع ذلك يدعو إلى التطور الروحي بقوة لأنه ضمان للتطور المادي من الانحراف، وهو الباقي الخالد الذي يصحب الإنسان في دنياه وأخراه ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ﴿زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١١﴾ ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِيُذِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

إن الإسلام بهذا التطور كَوَّن دولة عظيمة قوية في الماضي شهد به المنصفون من العلماء ، وقرروا أن مبادئه وجهود العالمين به كان لها أثر كبير في تطور الحضارة الإنسانية في كل المجالات .

ومن هنا نقول : إن الذين يريدون أن يحكموا على الإسلام يجب أن يحكموا عليه عن طريق مبادئه ، وعن طريق التطبيق الصحيح له ، ولا يجوز أن يحكموا عليه بسلوك المتأخرين الذين يجهل كثير منهم تعاليم الدين الحق ، أو يطبقونها تطبيقاً غير صحيح .



س : هل صحيح أن قول الإنسان : اللهم اغفر لي إن شئت منهي عنه ؟

ج : هناك ألفاظ وعبارات تحدث العلماء عن عدم لياقتها ، وحذروا من أن تؤدي إلى الكفر من حيث لا يشعر الإنسان ، ومن ذلك ما يأتي :

١- يكره للإنسان عند الدعاء أن يقول : اللهم اغفر لي إن شئت ، لحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة «لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له».

١- يمكن الرجوع إلى الموضوع كله في كتابنا (دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة).

وفي رواية لمسلم «ولكن لِيَعْزَمَ وَلِيَعْظَمَ الرغبة ، فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه»
وفي رواية لها عن أنس «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن ، اللهم إن شئت
فأعطني ، فإنه لامستكره له».

والكراهة في هذا القول كراهة تنزيهية لآعقوبة فيها ، كما صرح به النووي في
شرح صحيح مسلم ، قال العلماء : سبب الكراهة أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا
في حق من يتوجه عليه الإكراه ، والله تعالى منزّه عن ذلك ، وهو معنى قوله في
الحديث «فإنه لامستكره .. إلخ» وقيل : سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة
الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه .

٢- ينبغي أن يقال في المال المخرج في طاعة الله تعالى : أنفقت أو صرفت في حجي
أو في زوجي أو ضيافة ضيفاني ألفاً أو ألفين مثلاً ، ولا يقول ما يقوله كثيرون
من العوام : غرمت في ضيافتي كذا ، وخسرت في حجتي كذا ، وضيعت في
زوجي كذا ، وذلك لأن عبارة أنفقت وشبهها تكون في الطاعات ، وعبارة
خسرت ونحوها تكون في المعاصي والمكروهات ولا تستعمل في الطاعات ،
فإن الحاج لم يخسر ، ومكرم الضيف لم يخسر^(١).

٣- يكره التعر في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والتصنع بالمقدمات التي
يعتادها المتفاسحون - كما يعبر النووي - بل ينبغي مخاطبة الناس بما يفهمون
كما يتناسب مع مستوياتهم ، وذلك لحديث رواه أبو داود والترمذي «إن الله
يبغض البليغ من الرجال ، الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة» وهو حديث
حسن ، يلتقي مع حديث رواه مسلم «هلك المتنطعون» وهم المبالغون في
الأمر ، وفي حديث رواه الترمذي «وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم
القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»^(٢).



١- هكذا قال النووي في الأذكار ، ص ٢٦٣ .

٢- وهو حديث حسن ، والثرثار : هو الكثير الكلام ، والمتشديق : من يتناول على الناس في الكلام
ويبدو - من البذاءة - عليهم ، والمتفيهقون : هم المتكبرون .

س : هل صحيح ما جاء في الحديث الذي معناه أن المسبل إزاره ضمن الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ؟

ج : وردت عدة أحاديث تنهى عن إسبال الثوب وجرّه ، والنهي مقيد بالفخر والخيلاء والإسراف ، وإذا تجرد عن ذلك فلا مانع . والإسبال هو تطويل الثوب حتى يجير على الأرض ، والخيلاء يعني الكبر ، من هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله إن إزارى يسترخي إلا أن أتعاهده ، فقال له «إنك ليست بمن يفعله خيلاء» وفي رواية لمسلم وغيره عن الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم أنهم هم المسبل إزاره والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . وروى البخاري وغيره حديث «ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار» والإزار هو ما يستر أسفل البدن ، ومنه البنطلون والجلباب . وهذا الحديث ليس عامّاً للرجال والنساء ، فقد فهمت أم سلمة رضي الله عنها أنه عام وقالت للنبي ﷺ - كما رواه النسائي والترمذي وصححه - فكيف تصنع النساء بذيوهن ؟ فقال «يرخيذه ذراعاً لا يزيدن عليه» والذراع شبران بشبر اليد المعتدلة .

فالخلاصة أن للرجال حالين ، حال استحباب وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق ، وحال جواز وهو إلى الكعبين ، وكذلك للنساء حالان ، حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر ، وحال جواز بقدر ذراع ، والكعبان هما العظمان البارزان عند مفصل القدم . وبتقييد النهي عن الإسبال بالفخر قال العلماء : لأبأس بالملبس الحسن الذي يقصد به إظهار نعمة الله عليه واستحضار الشكر عليها غير محتقر لمن ليس له مثله ، حتى لو كان في غاية النفاسة ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر» فقال رجل : يا رسول الله إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، فقال «إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس» والغمط

معناه الاحتقار. وأخرج الترمذي بسند حسن «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

هذا ، وقد نقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة ، كما كرهوا الثوب الطويل الذي ليس فيه خيلاء إذا لم يأمن لابسه من تعلق النجاسة به ، فقد قال الرسول لرجل عليه ثوب يجره «ارفع ثوبك فإنه أتقى وأبقى»^(١).

وهناك أحاديث وأقوال كثيرة في (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذري ، وفي كتاب (غذاء الألباب) للسفاريني ، عن آداب اللباس ما حَلَّ منه وما كره وما حرم. ولفت نظري في هذا الكتاب قوله : قال صاحب المحيط من الحنفية : روى أن أبا حنيفة رحمه الله ارتدى برداء ثمين ، قيمته أربعمائة دينار ، وكان يجره على الأرض ، فقيل له : أو لسنا نهينا عن هذا ؟ فقال : إنما ذلك لذوي الخيلاء ولسنا منهم . وجاء فيه أن النهي عن الإسبال إذا كان للخيلاء فهو للتحريم ومن الكبائر على الأصح.



س : ما معنى قولهم : لاصغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار؟

ج : الذنوب منها كبائر وصغائر ، كما قال تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء : ٣١] وكما قال النبي ﷺ «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(٢) . وكل من الكبائر والصغائر محرم وفيه عقوبة ، بعضها مقرر في الدنيا كالقصاص والحدود على القتل والسرقة والزنى والقذف وشرب الخمر ، وبعضها عقوبة في الآخرة بالنار إن لم يغفر الله له ، ومغفرة الكبائر تكون بالتوبة النصوح ، أو الحج المبرور على بعض الأقوال ، ومغفرة الصغائر تكون

١- رواه الترمذي . ٢- رواه مسلم وأحمد والترمذي .

بعمل أية حسنة من قول أو فعل كالذكر والاستغفار والصلاة والصدقة ، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود : ١١٤] وكما قال النبي ﷺ «وأَتبع السيئة الحسنة تمحها»^(١).

والإصرار على الصغيرة وعدم تركها استهانة بأمرها وعدم الاهتمام بالعقوبة عليها يرفعها إلى درجة الكبائر ، لأن فيها تحدياً لأوامر الله ، وستجر المداومة عليها إلى الوقوع في الكبائر ، فمعظم النار من مستصغر الشرر .

فمعنى قوله : لاصغيرة مع الإصرار : لاتبقى الصغيرة صغيرة عند الإصرار عليها ، بل تتحول إلى كبيرة ، ومعنى قولهم : ولاكبيرة مع الاستغفار تكفر الكبيرة بالاستغفار أي التوبة المستكملة لشروطها من الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم العود ، مع رد الحقوق لأصحابها ، أو عفوهم عنها .

ولا ينبغي لأي مسلم أن يهتم عند السؤال عن المعصية بأن يعرف : هل هي من الصغائر أم من الكبائر ، فإن علم أنها صغيرة هان عليه أمرها ، فكل معصية تعتبر كبيرة بالنسبة لمقام الله عز وجل ، كما قال المحققون من علماء الأخلاق .
وعدم الاهتمام بالصغيرة هو الإصرار على عدم الإقلاع عنها ، أو التوبة منها مع العزم على العود إليها .

والله يقول في صفات المتقين الذين أعد لهم الجنة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمَنْ يُغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .



س : ما معنى الأصولية ، وهل نادى الإسلام بها ، ولماذا تعتبر اتهاماً ينسب إلى الجماعات الإسلامية المتشددة ؟

ج : تحديد المفاهيم ضروري لصحة التصور وصدق الحكم ، والكلمة الواحدة قد يكون لها عدة معانٍ ، والحكم عليها يختلف باختلافها ، ومن عبارات المفكرين

١- رواه الترمذي وقال : حسن .

القدماء : الحكم على الشيء فرع عن تصوره . ونحن نعلم أن القرآن فيه آيات محكمات هن أم الكتاب التي لا يجوز الاختلاف فيها ، وفيه آيات مشتبهات ، والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

وكلمة الأصول قد يقصد بها الثوابت التي جاء بها الدين من العقائد وما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه المسلمون ، وهذه الأصول حافظ عليها الأولون فسعدوا ، أما الآخرون ففرط كثير منهم في التمسك بها ، وبالأولى لم يتمسكوا بالفروع التي غطت بالأحكام كل مجالات النشاط البشري ، فضعف شأنهم وتحكم فيهم غيرهم ، والذين ينادون بالعودة إلى الأصول الأولى الثابتة - مصيبون في هذا النداء ، لأن فيه محافظة على الشجرة الطيبة ، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

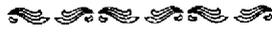
أما الدعوة للأصولية التي تشمل الثوابت كما تشمل الفروع التي تتعرض حتماً لظروف الزمان والمكان فلا ينبغي أن تكون ، لأن فيها وقوفاً ضد التطور والنمو الذي تختلف آلياته بالتعبير الحديث - من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة . والاجتهاد له دور كبير في هذا المجال ، ويدل على سماحة الإسلام ويسره وتجاوبه مع سنن الفطرة الداعية إلى الكمال .

والسلف الصالح راعي السنن الكونية ، لأنها تتصالح مع الأصول ولا تتصارع معها ، وكان منهم عمالقة في الفكر والاجتهاد ، تركوا لنا تراثاً لم يُحسِنِ المحدثون الاستفادة منه .

ومن هنا يجب أن تنتبه إلى أن الدعوة لأي مبدأ لا يجوز أن يارسها إلا أهل الذكر، لأنهم هم القادرون على استخدام الأصول في ظل الظروف المتغيرة ، أما الجهلاء بالدين الذين يجعلون من الأصول ما يعرف بالسنن والنوافل فإنهم لا يخدمون الدين ولا من يتسبون إليه ، والحديث معروف «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساءً جهلاً فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا» والله يقول :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِنَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

مع التنبيه إلى أن أعداء الدين كثيرون ، ويتمنون أي ثقب ينفذون منه إلى الطعن فيه ، وذلك ليصرفوا الناس عنه ، لأنه قوة لو ظهرت من جديد لاكتسحت كل النظم الحديثة التي بدأ الفساد يقضي على كثير منها .



س : ما حكم الدين في القتال الدائر الآن بين المسلمين في أفغانستان ؟

ج : من المعلوم أن الله سبحانه حرّم العدوان بكل صورته وأشكاله ، فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه بل إن غير المسلمين لهم حرّات ما داموا مسلمين ، ونهى عن كل ما يفرق بين الجماعة ، ودعا إلى الصلح والرحمة والتعاون وكل الوسائل التي تقوى شوكة المسلمين . وتبعد عنهم أطباع الآخرين ، والنصوص في ذلك كثيرة .

وأفغانستان دولة مسلمة لها تاريخ مجيد وماض مشرق ، ولكنها نكبت كما نكبت غيرها من الدول الإسلامية بالاستعمار ، وجاهدت ببسالة حتى استردت حرّيتها ، وكان الواجب على المجاهدين أن يشكروا الله على النعمة فيوحدوا صفوفهم لإصلاح ما فسد ولتنمية بلادهم في ظل الحرية والأمان ولكن الذي حدث أنهم تفرقوا وتقاتلوا من أجل الوصول إلى كرسي الحكم . والشعب يعاني بسبب هذا التنازع أضعاف ما كان يعانيه في ظل الاستعمار وما ذلك إلا نتيجة للبعد عن تعاليم الدين الداعية إلى إثارة الباقيّة على الفانية ، والتضحية بالمصلحة الخاصة في سبيل المصلحة العامة . وبخاصة في هذه الظروف التي تنمر فيها الذئاب للفتك بالضحايا الهزيلة المتناحرة وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] .

إذ علاج هذه المشكلة موجود في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَةَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

وقد قام المسلمون الغيورون على الإسلام بتوجيه النصح للمتقاتلين حتى يصطلحوا فلم يستجيبوا ، والخطوة التالية - كما تنص الآية - هي التدخل الفعلي لوقف القتال وذلك برد الفتنة الباغية حتى ترضى بالصلح الذي يراعي العدل بين الطائفتين اللتين تزعم كل منهما أن لها الحق في تولي السلطة وأنها الفتنة المجني عليها .

وهذه الخطوة - بحكم الأوضاع الحالية - يصعب القيام بها لأمر ، من أهمها :

أ- أن الدول الإسلامية ليست لها رابطة واحدة تضم شملها و ترعى مصالحها . في شكل خلافة أو اتحاد أو جامعة أو ما شاكل ذلك من النظم الحديثة .

ب- أن هناك اتفاقات دولية ، تمنع التدخل العسكري بوجه خاص في شئون أية دولة دون موافقتها ، ومخالفة ذلك فيها خطورة كبيرة كما هو معروف .
وإذا كان التدخل العسكري الذي تتضمنه الآية صعباً فلا يجوز السكوت والاستسلام لهذا الوضع . فالتراخي أو عدم المبالاة بما يحدث للمسلمين منهي عنه ، وفيه مزيد ضعف يتيح الفرصة للعدو أن يتدخل لمصلحته هو لا لمصلحة المسلمين . والله يقول ﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

والحد الأدنى للتدخل الواجب على المسلمين هو مواصلة النصح بوقف القتال وعدم التشجيع على استمراره الذي يتم بوسائل يعرفها من يصطادون في الماء العكر ولعل الله يهدي الجميع إلى سواء السبيل .



س : هل يدخل أكل لحم الآدمي في حكم المضطر إلى التداوي بالحرام ؟

ج : أثار القرطبي^(١) ، مسألة قال فيها : إذا وجد المضطر ميتة وخنزيراً ولحم ابن آدم أكل الميتة لأنها حلال في حال -والخنزير وابن آدم لايجل بحال، والتحرير المخفف أولى أن يقتحم من التحريم المثل ، وهذا هو الضابط للأحكام ، ولا يأكل ابن آدم ولو مات ، قاله علماؤنا -أي المالكية- وبه قال أحمد وداود ، احتج أحمد بقوله عليه السلام «كسر عظم الميت ككسره حياً» .

وقال الشافعي : يأكل لحم ابن آدم ولايجوز له أن يقتل ذمياً ، لأنه محترم الدم ، ولامسلماً ولا أسيراً لأنه مال الغير ، فإن كان حربياً أو زانياً محصناً جاز قتله والأكل منه . وشنع داود على المزني -صاحب الشافعي- بأن قال : قد أبحت أكل لحوم الأنبياء . فغلب عليه ابن سريج بأن قال : فأنت قد تعرضت لقتل الأنبياء إذ منعتهم من أكل الكافر .

قال ابن العربي : الصحيح عندي ألا يأكل الآدمي إلا إذا تحقق أن ذلك ينجيه ويحييه .

وجاء في قول الشيخ جاد الحق على جاد الحق^(٢) : وفي جواز أكل لحم الآدمي عند الضرورة قال فقهاء الحنفية - على ما جاء في الدر المختار للحصكفي وحاشية رد المحتار لابن عابدين في الجزء الخامس - إن لحم الإنسان لايباح في حال الاضطرار ولو كان ميتاً ، لكرامته المقررة بقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء : ٧٠] وكذلك لايجوز للمضطر قتل إنسان حي وأكله ولو كان مباح الدم كالخربي والمرتد والزاني المحصن ، لأن تكريم الله لبني آدم متعلق بالإنسانية ذاتها ، فتشمل معصوم الدم وغيره ، وبهذا أيضاً قال الظاهرية بتعليل آخر غير ما قال به الحنفية .

١- التفسير ج ٢ ص ٢٢٩ .
٢- الفتاوى الإسلامية ج ١٠ ص ٣٧١١ .

ويقول الفقه المالكي : إنه لا يجوز أن يأكل المضطر لحم آدمي وهذا أمر تعبدي ،
وصحح بعض المالكية أنه يجوز للمضطر أكل الآدمي إذا كان ميتاً ، بناء على أن
العلة في تحريمه ليست تعبدية وإنما لشرفه ، وهذا لا يمنع الاضطرار ، على ما أشار
إليه في الشرح الصغير بحاشية الصاوي في الجزء الأول .

وأجاز الفقه الشافعي والزيدي أن يأكل المضطر لحم إنسان ميت بشروط منها:
ألا يجد غيره ، كما أجاز للإنسان أن يقتطع جزء نفسه كلحم من فخذة ليأكله ،
استبقاء لكل بزوال البعض ، كقطع العضو المتآكل الذي يخشى من بقائه على بقية
البدن ، وهذا بشرط ألا يجد محرماً آخر كالميتة مثلاً ، وأن يكون الضرر الناشئ من
قطع الجزء أقل من الضرر الناشئ من تركه الأكل ، فإن كان مثله أو أكثر لم يجز
قطع الجزء ، ولا يجوز للمضطر قطع جزء من آدمي آخر معصوم الدم ، كما لا يجوز
للاخر أن يقطع عضواً من جسده ليقدمه للمضطر ليأكله .

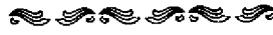
وفي الفقه الحنبلي : إنه لا يباح للمضطر قتل إنسان معصوم الدم ليأكله في حال
الاضطرار ، ولا إتلاف عضو منه ، مسلماً كان أو غير مسلم ، أما الإنسان الميت
ففي إباحة الأكل منه في حال الضرورة قولان ، أحدهما لا يباح والآخر يباح الأكل
منه ، لأن حرمة الحي أعظم من حرمة الميت . قال ابن قدامة في (المغني) إن هذا
القول هو الأولى .

ثم قال الشيخ جاد الحق^(١) ونخلص إلى أنه يجوز اضطراراً أكل لحم إنسان ميت
في قول فقهاء الشافعية والزيدية ، وقول في مذهب المالكية ومذهب الحنابلة ،
ويجوز أيضاً عند الشافعية والزيدية أن يقطع الإنسان من جسده فلذة ليأكلها حال
الاضطرار بالشروط السابق ذكرها .

كان هذا ما خلص في فتواه في ٥ من ديسمبر ١٩٧٩م ، وفي فتواه في ١٦ من
يناير ١٩٨٠م قال بالنص : والذي نختاره للإفتاء هو قول الحنفية والظاهرية

١- الفتاوى الإسلامية ج ١٠ ص ٣٧١٢ .

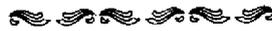
وبعض فقهاء المالكية والحنابلة القائلين بعدم جواز أكل لحم الميت عند الضرورة لكرامته ، والضرورة هي دفع الهلاك وحفظ الحياة .



س : ما حكم الدين في تناول الطعام في الطريق العام وتناول الشراب أثناء الوقوف؟

ج : تناول الطعام في الطريق العام لا حرمة فيه ، لعدم الدليل الذي يمنع ، وإن كان الأفضل تناوله بعيداً عن أعين الناس ، منعاً للنقد ولتلهف محتاج إليه محروم منه ، وتحرزاً من وقوع شيء منه على الأرض فيتلف ويصعب إصلاحه أو يكون منه التلوث . روى أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه أن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ، ونشرب ونحن قيام^(١) .

وتناول الشراب أثناء الوقوف لا حرمة فيه وإن كان مكروهاً اتباعاً لهدي النبي ﷺ ، حيث كان أكثر شربه قاعداً ، وزجر عن الشرب قائماً ، وإن كان شرب مرة قائماً ، وذلك لبيان جواز الأمرين ، أو لوجود عذر يمنعه من القعود ، فقد أتى زمزم وهم يستقون منها ، فأخذ الدلو وشرب قائماً^(٢) .



س : ما حكم الدين في تناول الفقير بعض الثمار من حقل الغير ليشبع جوعه ، دون أن يأخذ معه شيئاً؟

ج : أخذ شيء من مال الغير بدون إذنه أو رضاه حرام ، وأيا عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به ، واللقمة الحرام تمنع استجابة الدعاء ، والتحذير من ذلك وردت فيه نصوص كثيرة .

١- غذاء الألباب ج ٢ ص ١٢٣ .

٢- زاد المعاد ج ١ ص ٣٨ .

والفقير الذي لا يجد ما يسد به جوعته يحق له أن يسأل الأغنياء ومن يملكون أن يعطوه ما يسد رمقه ، والواجب عليهم إعطاؤه إن تأكدوا من حاجته ، فإن قست القلوب وسدت الأبواب أمامه جاز له أن يأخذ من مال أي غني - كشمرة من حقله أو لقمة من بيته - على قدر ما يسد به الرمق ، وما زاد على ذلك فلا يجوز ، فالضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تقدر بقدرها .



س: دعوت بعض زملائي إلى مأدبة ، فلما هيأت لهم الطعام غضب أحدهم وقال : الأكل على المائدة بدعة محرمة ، وأبى أن يأكل وجلس على الأرض يتناول الطعام ، ودار نقاش طويل حول هذا الموضوع ، فما رأي الدين في ذلك ؟

ج : نبهنا كثيراً إلى عدم الجرأة في الفتيا بغير علم ، وعدم الإسراع بإطلاق اسم البدعة على كل شيء جديد فقد يكون له أصل قديم ، وعدم الاستطراد في الحكم على كل بدعة بأنها ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وكنت ناوياً عدم التحدث في هذا الموضوع الدنيوي الذي لم يرد فيه نهي بصريح القول ، في القرآن والسنة ، لولا أن بعض الناس يجعلون من الحبة قبة ، ويشغلون الناس بأمور مضت عدة قرون على حسم الخلاف فيها ، ليضيعوا الوقت الثمين ويفرقوا بين الجماعة ، ويعطوا الفرصة للأعداء لاتهام الدين بالجمود وعدم الصلاحية لقيادة الإنسانية إلى الخير كما يقول المسلمون .

وردت أحاديث في هدي النبي ﷺ في تناول الطعام ، منها ما رواه قتادة عن أنس قال : ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط ، فقال قتادة لأنس : فعلام كانوا يأكلون؟ قال : على السُّفَر^(١) . وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لو

١- وهو حديث صحيح ثابت أخرجه الترمذي وقال فيه : حديث حسن غريب ، أي رواه راو واحد فقط .

كان الضب حراماً ما أكل على مائدة النبي ﷺ . وفي حديث خرّجه الثقات عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة»^(١).

المائدة كل شيء يمد ويبسط ، مثل المنديل والثوب ، والخوان - بضم الخاء وكسرها - هو ما ارتفع عن الأرض بقوائمه ، والسفرة - كما قال ابن الأثير في النهاية - هي الطعام الذي يتخذه المسافر ، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير ، فنقل اسم الطعام إلى الجلد وسمي به ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها : صنعنا لرسول الله ﷺ ولأبي بكر سفرة في جراب لما هاجرا ، أي صنعنا طعاماً لهما عند الهجرة .

من هذا نرى أن المائدة الشاملة للسفرة بلا قوائم كان يأكل عليها الرسول ﷺ والعرب في أيامه ، أما الخوان وهو ما له قوائم ترفعه عن الأرض فلم يأكل عليه . فهل يفهم من هذا أن الأكل على الخوان - المنضدة ، الترابيزة - بدعه إن لم تك محرمة فهي مكروهة ؟

في بحث واسع عن البدعة اختلف العلماء في عدم الاقتداء بالرسول في أفعاله ، هل هو حرام أو مكروه ، أو ما تركه هل يجب تركه أو يُسنُّ تركه ، وهل الشيء الجديد الذي لم يرد فيه أمر ولا نهي ، يعتبر بدعة ضلالة تؤدي إلى النار ؟ أنا أترك الحديث في هذه النقطة لحجة الإسلام الإمام الغزالي الذي عاجلها قبل أن يتوفى سنة ٥٠٥ هجرية .

جاء في كتابه الكبير^(٢) : أن من آداب الأكل أن يوضع الطعام على السفرة - المفروشة على الأرض - وذكر أن هناك أربعة أشياء حدثت بعد النبي ﷺ ، وهي الموائد والمناخل والأشنان - مثل الصابون - والشبع . ثم قال :

١- ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ، ج ٦ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
٢- إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٣ .

واعلم أننا وإن قلنا : الأكل على السفرة أولى ، فلسنا نقول : الأكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة أو تحريم ، إذ لم يثبت فيه نهي ، وما يقال : إنه أبدع بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهياً ، بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة ، وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب ، وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل ، وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه .

ثم قال :

والأربع التي جمعت في أنها بدعة ليست متساوية ، بل الأثنان حسن لما فيه من النظافة ، فإن الغسل مستحب للنظافة ، والأثنان أتم في التنظيف ، وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم ، أو لا يتيسر ، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة في النظافة ، فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضاً ، وكانت مناديلهم أخص أقدامهم - باطن الأقدام - وذلك لا يمنع كون الغسل مستحباً .

وأما المنخل فالمقصود منه تطيب الطعام ، وذلك مباح ما لم ينته إلى التمتع المفرط ، وأما المائدة فتيسير للأكل ، وهو أيضاً مباح ما لم ينته إلى الكبر والتعظيم ، وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة ، فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتحريك الأدواء في البطن . فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات .

أعتقد أنه ليس بعد كلام الإمام الغزالي كلام في هذا الموضوع - بل وغيره من الموضوعات - فليفهم هذا من يفتون بغير علم ، حتى لا يضلون والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ فَتَنَّا لُؤْلُؤًا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣ والأنبيا : ٧] .



س : هل تنصيب إمام للجماعة واجب ، وما هي الإجراءات الدينية لذلك ؟
 ج : إقامة رئيس على جماعة أمر يرشد إليه العقل ويؤكد الشرع ، فالناس في حاجة إلى من يحتكمون إليه عند التنازع ، ومن يسهر على مصالحهم بجلب الخير لهم ودفع الضر عنهم ، وقديماً قال الشاعر الجاهلي « الأفوه الأودي » :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ومن التوجيهات الإسلامية إذا كان هناك ثلاثة أن يؤمروا عليهم أحدهم فكيف بالجماعة الكبيرة؟ وفقهاء الإسلام مجتمعون على وجوب إقامة إمام. مع اختلافهم في كون هذا الوجوب عقلياً أو شرعياً، وبصرف النظر عن أدلة كل فإن النتيجة هي وجوب إقامة إمام. وعلى من يأنس في نفسه الأهلية أن يتولى الإمامة، فإن لم يتولها أحد خرج من الناس فريقان: أحدهما أهل الاختيار حتى يختاروا إماماً، والثاني أهل الإمامة حتى يُنصَّب أحدهم إماماً، أي ناخبون ومرشحون. ولا بد أن يكون الناخبون عدولاً عالمين بمن يختارونه، وذوي رأي وحكمة ليستطيعوا اختيار أفضل المرشحين ولا بد أن يكون المرشحون عدولاً أيضاً، لديهم مقدرة علمية للحاجة إليها في النوازل والأحكام بالاجتهاد، وحواسهم سليمة كذلك أعضاؤهم التي يباشرون بها التنفيذ، وعلى رأي سديد يؤدي إلى حسن السياسة وتدبير المصالح، وقد اشترط بعض العلماء أن يكون المرشح قرشياً، للنص الوارد في ذلك، ولكن محله إن وجد، فإن لم يوجد بشروطه رشح لها أصلح الموجودين مراعى فيه قوة مركزه وهيبته.

هذا ما قاله العلماء في إمام الجماعة، والمسلمون المذكورون في السؤال إن لم يجدوا من تتحقق فيه هذه الشروط فلا ينبغي أن يتركوا أمرهم سدى، وعليهم اختيار من هو أقرب إلى الخير ليكون رئيساً لهم وعليهم أن يتعاونوا معه بالنصح والتوجيه والطاعة في المعروف، فإن استقام على الطريقة فيها، وإلا كان لهم عزله وتولية غيره.

هذا ما أراه من المخرج لحالتهم، مراعيًا ارتكاب أخف الضررين، أو عدم سقوط الميسور بالمعسور، وظني أن ذلك لا يتم إلا إذا كانت هذه الجماعة مستقلة استقلالاً تاماً عن المؤثرات الأخرى التي لا تترك لهم الحرية لتولية من يشاءون،

والأمر يحتاج إلى تحرُّ ودقة ودراسة لكل الظروف لمعرفة مدى إمكان النجاح لهذه العملية في المناخ الواقع والجو المسيطر .



س : ما حكم الدين فيما نقرؤه في الكتب من أن من مات ولم يكن في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ، ومن مات ولم يعرف إمام عصره مات ميتة جاهلية ؟
ج : روى مسلم أن النبي ﷺ قال «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» وفي رواية له «ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية» أي يموت على الضلالة كما يموت أهل الجاهلية عليها ، لأنهم كانوا يستنكفون أن يدخلوا تحت طاعة أمير .

وحديث «من مات ولم يعرف إمام عصره مات ميتة جاهلية» المراد بالمعرفة هنا البيعة والدخول في الطاعة وليس المراد معرفة اسمه ، وإن كان من النادر أن يجهل اسم الإمام^(١) .

وجاء في الجامع الكبير للسيوطي بلفظ «من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية»^(٢) ولفظ «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»^(٣) .



س : هل يجوز الخروج على الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة الإسلامية ، وما حكم من يخرج على السلطان بالسلاح ؟

ج : هذه المسألة من الفقه السياسي ، وهي شائكة إلى حد كبير ، فقد كان لها دورها الخطير في انقسام الجماعة الإسلامية ونشأة الفرق والأحزاب ، وهي في هذه الأيام بالذات أشد خطراً ، لأن الأوضاع في أكثر الدول الإسلامية لاتحکمها

١- ذكر هذا الحديث في شرح المقاصد ، ج ٥ ص ٢٣٩ .

٢- رواه أحمد والطبراني .

٣- رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية .

الشريعة حكماً كاملاً ، سواء أكان ذلك في طريقة تولي الإمامة أم في الدستور الذي تحكم به . وبيان حكم الشرع في فرع يكون أصله الأساسي غير شرعي هو ترفيع ، أو على الأقل لا يكون له أثر عملي في تغيير الواقع ، ذلك أن القوانين المستمدة من دستور وضعي ترى ما يخالفها خروجاً على نظام الدولة وفيه إخلال بالأمن أو خيانة للوطن والعقوبة قد تكون الإعدام .

والنظرات السياسية قديماً وحديثاً كان لها أثرها البارز في تأويل النصوص وحملها على ما يؤيدها ، بل كان لها أثرها أيضاً في وضع أحاديث وافتراءها على النبي ﷺ وبالأولى إلصاق أقوال وآراء بأئمة هم برآء منها ، وكذلك أنكر المختلفون أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ لأنها تعارض رأيهم السياسي ، وقبلوا أحاديث تؤيد مذاهبهم بغض النظر عن صدق نسبتها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

والكتب المؤلفة في مذاهب هذه الفرق السياسية كثيرة ، والكتب الحديثية التي أحيت هذه المذاهب القديمة ، وتبناها بعض الجماعات متوافرة أيضاً ، ولهذا سيكون أي رأي في الإجابة على السؤال المطروح محل نزاع وجدل .

ومهما يكن من شيء فإني سأعرض بعض النصوص عند أهل السنة المعتدلين وما قاله العلماء فيها دون التعرض لنقدها ، أو ترجيح بعضها على بعض .

١- قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

٢- عن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا ، وألا ننازع الأمر أهله إلا إن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان^(١).

٣- روى البخاري ومسلم قوله ﷺ « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات جاهلية » ومعنى ميتته جاهلية مثلها ، لأنهم

١- رواه البخاري ومسلم . والبواح بضم الباء هو الصراح بضم الصاد الذي جاء في رواية الطبراني ، وهو أيضاً البراح بضم الباء وبالراء بدل الواو الذي جاء في بعض الروايات ، المراد به الظاهر البين الذي تشهد له النصوص ولا يقبل التأويل .

كانوا على ضلال وليس لهم إمام مطاع إذ كانوا لا يعرفون ذلك ، وليس المراد أنه يموت كافراً ، بل يموت عاصياً ، هكذا قالوا في تفسيرها .

٤- روى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قول النبي ﷺ «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم» قال : قلنا يا رسول الله ، أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال «لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليذكره ما يأتي من معصية الله ، ولا يزعن يداً من طاعة» والصلاة في الحديث معناها الدعاء ، والمنابذة نزع البيعة ، أخذاً من قوله تعالى ﴿فَأَيُّذٌ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي أعلمهم بنقض العهد بينك وبينهم .

٥- روى مسلم عن حذيفة بن اليمان قول النبي ﷺ «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم منكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال فقلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال «تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» وفي الحديث إشارة إلى الثورات المغرضة التي يراد بها المصلحة الشخصية لا العامة . وفيه أمر بعدم الاشتراك فيها .

٦- روى مسلم عن عرفة الأشجعي قول النبي ﷺ «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم ، فاقتلوه» أي اقتلوا الثائر على الحاكم .

هذه هي بعض النصوص التي يصعب على ذوي الميول الثورية استساغة بعض ما فيها من عبارات ، وقد استنتج العلماء منها أنه لا يجوز منابذة الأئمة والخروج عليهم ما داموا يقيمون للصلاة ، وليس المراد أنهم يصلون بالناس كما كان أئمة السلف ، بل المراد أنهم يسمحون بإقامتها ولا يضعون العراقيل في سبيلها .

وحدث عبادة بن الصامت يدل على أنه لا تجوز المنابذة إلا عند ظهور الكفر الواضح الذي ليس له فيه شبهة . كإنكار الألوهية أو الطعن في أن القرآن من عند

الله، أو أنه غير صالح للحكم ، أو اعتقاد حل ما أجمع على تحريمه كالربا والزنى وشرب الخمر .. فهو بهذا الاعتقاد يكون كافراً ، أما ارتكاب المحرمات بغير اعتقاد حلها فهو عصيان لا يخرج به إلى الكفر ، بل يكون فاسقاً ، فالمربر للخروج عليه هو الكفر لا العصيان المجرد لكن النووي قال : المراد بالكفر هنا المعصية ^(١) وقال غيره: المراد بالإثم في بعض الروايات ما يشمل المعصية والكفر . قال ابن حجر : والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية ، فلا ينازعه بما يقدر في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر . وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية ، فإذا لم يقدر في الولاية نازعه في المعصية ، بأن ينكر عليه برفق ، ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف . ومحل ذلك إذا كان قادراً ، وعلى ضوء ما قاله ابن حجر إن فسق الإمام ولم يكفر وجب نصحه بالأسلوب الذي يُرجى منه الخير ولا يؤدي إلى فتنة ، كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] وكان للسابقين أسلوب في الإنكار يتناسب مع الظروف القائمة إذ ذاك ، مع مراعاة أن روح التدين كانت موجودة بقوة في الحاكمين والمحكومين ، وهو ما أطمع بعض المعارضين في القسوة أحياناً عند النصح ، وما جعل الحكام يصيخون إلى ما يقولون ، فهم نواب الشعب ومفاتيح السيطرة عليه، ومن الحكمة قبول ما يوجهونهم به وإن كان في بعض الأساليب عنف سببه شدة الغيرة على الحق .

ومن الأساليب السليمة في توجيه الحاكم ، التي تقرها القوانين الوضعية الحالية، الخطابة والصحافة وإثارة الموضوع في مجالس النيابة والتنظيمات المشروعة . والخير مرجو إذا كان ذوو اللسان والقلم مخلصين لوجه الله ، وكان ممثلو الأمة مختارين على أساس ديني سليم ، ومؤدين لأمانتهم على الوجه المطلوب .

أما الخروج بالسلاح لتغيير المنكر فهو غير مجد في أكثر الدول الإسلامية ، التي تضع مهمة التغيير والإصلاح على عاتق ممثلي الأمة ، والتي تحرم حمل السلاح وتمنع

١- فتح الباري ج ١٦ ص ١١٤ .

التظاهر العنيف وتضع له أقسى العقوبات ، لا يجدي هذا الخروج بالسلاح بوجه خاص إذا كان التسلح غير كاف ، وقوى المواجهة غير متكافئة ، فإن القضاء على الثائرين بغير حكمة سهل ، والنتيجة أخطر مما كان يتوقعون .

ولو تحققت المنعة وتوافر السلاح المتكافئ فالطريق السليم هو التفاوض والحوار كما يقول التعبير الحديث ، حيث يكون حواراً فيه تكافؤ قد يؤدي إلى الحل المعقول . وذلك كله من أجل منع الفتنة أو بعبارة حديثة «منع الحرب الأهلية» من جراء المواجهة بالسلاح وإراقة الدماء ، وقد يذهب ضحيتها أبرياء ، فشرط تغيير المنكر - كما قال العلماء - ألا يؤدي إلى منكر أشد .

فإن لم يتوصل إلى حل بالحوار والنصح فإن الأحاديث لاتحيز المواجهة المسلحة وليكن الواجب هو الإنكار باللسان إن أمكن ، وإلا فالإنكار بالقلب ، والاجتهاد في تربية الشعب لاختيار ممثلين صالحين يتولون «دستورياً» تغيير المنكر . هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وأكثر المعتزلة والروافض يرون جواز الخروج على السلطان والوزير ، فإذا أخذ ربع دينار ظلماً لاتجوز طاعته عندهم .

إن عرض الجواب على السؤال المذكور بهذه الصورة ، ربما لا يرضى بعض المتحمسين لفكرة معينة ، أو منهج خاص في تعديل الأوضاع الفاسدة ، ولكن واجب النصح يفرض علينا أن ننبه إلى وجوب تقدير الظروف المحيطة بنا الآن ، وإلى أن العدو المتربص بنا لا يترك فرصة ثورية إلا انتهزها لنفسه ، وإلى أن ارتباط بعض الحكام ببعض الدول الكبرى سيقضي على مثل هذه الحركات بسهولة ، لأن صحوة الدين تضرهم ، وبخاصة دين الإسلام ، كما يجب أن تراعى أن قوة المسلمين الحربية بوسائلها الحديثة ليست كقوتهم وأنا لسنا مستقلين تمام الاستقلال عنهم ، فإن كل وسائل التغيير أو أكثرها ما زالت محتكرة لهم .

ولا ينبغي أن يحمل هذا التوجيه على أنه من باب التخذيل ، بل يجب أن تكون خططنا للإصلاح مدروسة دراسة وافية ، لتكون حركات التغيير مرجوة النجاح بأقل تضحيات .

ومن الخير بعد هذا أن أسوق بعض النقول :

١- جاء في فتح الباري لابن حجر : نقل ابن التين عن الداودي قال : الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب ، وإلا فالواجب الصبر ، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء ، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلّفوا في جواز الخروج عليه ، والصحيح المنع ، إلا أن يكفر ، فيجب الخروج عليه .

وجاء في الكتاب نفسه : وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه ، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ، فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها ، وجاء في الكتاب المذكور . ينعزل بالكفر إجماعاً ، فيجب على كل مسلم القيام بذلك ، فمن قوى على ذلك فله الثواب ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض .

أقول بعد هذا النقل : إن ارتباط الخروج بالكفر يجب فيه الدقة في الحكم بالكفر على المسلم فإن تكفير المسلم خطير ، ومن قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، وليس كل تصرف منه يبرر الحكم عليه بالكفر ، وبيان ذلك له موضع آخر إن شاء الله .

كما أقول : إن نظرة العلماء في الخروج على الإمام الجائر ، مع اعتمادها على النصوص ، مبنية على اعتبار الظروف وواقع المسلمين في عهود بعض الفقهاء ، وعلى كل حال فنظرتهم ترشدنا إلى أن نكون على بصيرة عند إصدارنا للأحكام الخطيرة بالذات ، وإلى القيام بحركات الإصلاح .

٢- يقول الشوكاني في نيل الأوطار : إن الذين خرجوا على الأئمة الظلمة أخذوا بمعلومات الكتاب والسنة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا شك أن الأحاديث المذكورة مخصصة لتلك العمومات ، وهي متواترة المعنى ، ولكن لا ينبغي أن يحط من قدر السلف الخارجين على أئمة الجور ، فقد كان

ذلك باجتهاد منهم ، كما لا ينبغي الركون إلى جمود الأحاديث كما فعل الكرامية والعيب على من قاوموا الظالمين . ٥٢هـ .

هذا، وأكرر التنبيه إلى وجوب التخطيط السليم لكل حركة إصلاح ، وعدم اللجوء إلى العنف إن أمكن الوصول إلى الهدف سليماً ، وإلى إتيان البيوت من أبوابها، وإلى أن القول المأثور «كما تكونون يولى عليكم» يحتم علينا إصلاح أنفسنا أولاً ليكون من نرتضيههم ممثلين لنا ، ومن يرتضون حاكماً علينا صالحين لأداء واجبهم ومحلاً للرجاء فيهم ، ولعل دراسة الحركات الإصلاحية في المجتمع الإسلامي دراسة واعية توصلنا إلى رسم الطريق الأمثل للإصلاح . والله ولي التوفيق .



س : يقول الله تعالى في حق الكفار ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣] فهل الأمل من صفات الكافرين ، وكيف يذمه القرآن ولا يستغني عنه إنسان ؟

ج : الأمل شيء مركوز في الطبيعة البشرية ولولاه ما تحرك الإنسان وما عمل ، فهو يشيب ويهرم ويشيب ويهرم معه الأمل والحرص كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم . وهو ضد اليأس الذي يغرى بالكسل والزهد في الحياة وبتمني الموت عند اشتداد الأزمات ، يقول النبي ﷺ «واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا»^(١) .

يقول الطبراني :

أعلل النفس بالآمال أرقبها

ما أضيقت العيش لولا فسحة الأمل

١- رواه الطبراني عن عبدالله بن جعفر «الجامع الكبير للسيوطي» .

والدين لا يجارب هذا الشيء المطبوع في النفس ولكن يوجهه إلى الخير ،
والتوجيه يقوم على أمرين ، أولهما عدم الاكتفاء بالأمل بل لا بد معه من العمل من
أجل الوصول إلى ما يؤمله الإنسان وثانيهما أن يكون في الوسع وبالقدر المستطاع .

وفي الأمر الأول جاء قول الله تعالى في حق أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
وفي حق المسلمين الذين يدّعي كل فريق منهم بأن له الجنة ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا
أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٢٣ ، ١٢٤] وفي هذا المقام يقول الحسن
البصري: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وفر في القلب وصدقه العمل وإن قوماً
خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن
لأحسنوا العمل مع ملاحظة أن الجهد المبذول يكون متناسباً مع درجة الأمل، فإن
كان كبيراً كان الجهد كبيراً . والكبر جهد مع نية . وروى مسلم أن ربيعة بن كعب
الأسلمي خادم الرسول ﷺ قال له : أسألك مرافقتك في الجنة ، فقال عليه الصلاة
والسلام «فأعني على ذلك بكثرة السجود» والشاعر الحكيم يقول :

ومن يطلب الحسناء لم يُغله المهر

ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وفي الأمر الثاني ينظر إلى ما يؤمله الإنسان فهو إما أن يكون أمراً دنيوياً وإما أن
يكون أمراً أخروياً ، أو بمعنى آخر إما أن يكون من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة ،
ففي أمور الدنيا لا بد أن يكون الأمل محدوداً لأن أجل الإنسان محدود لا يتسع لكل
الآمال العريضة ، وفي أمور الدين لا بد من سعة الأمل ، مع مراعاة الوسع والطاقة
في كلا الأمرين .

وفي أمور الدنيا يجيء الحديث الذي رواه البخاري عن عبدالله بن مسعود أن
النبي ﷺ خط لهم خطاً مربعاً - أي رسم لهم شكل مربع - وخط وسطه خطاً ، وخط

خطوطاً إلى جنب الخط ، وخط خطأ خارجاً ثم قال «أندرون ما هذا» ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم. قال «هذا الإنسان» للخط الذي في الوسط «وهذا الأجل» للخط المحيط به «وهذه الأعراس» للخطوط التي حوله «تنهشه ، إن أخطأه هذا نهشه هذا ، وذلك الأمل» ويعني الخط الخارج . وهذا ما يعنيه قول القائل : الآمال تحترمها الأجال .

وفي أمور الدين يقول النبي ﷺ «المؤمن لا يشبع من خير حتى يكون منتهاه الجنة»^(١) ، ويقول : «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»^(٢) ، ويقول «إذا سألت الله الجنة فأعظموا الرغبة وأسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاطمه شيء»^(٣) . من هذا نرى أن الأمل لا يكون مذموماً في كل حال ، بل الذم يكون إذا لم يصحبه عمل ويكون لما هو دنيوي ولا يتناسب مع عمر الإنسان وإمكاناته وكثرت النصوص والأقوال في ذمه ليقف عند الحد المعقول ، أما مدحه فالنصوص فيه قليلة لأن الطبيعة البشرية تدعو إليه بقوة ، وفي المقابل يجيء التنفير القوي ليقف في الحد الوسط المناسب ، فلا يقضي عليه أبداً ولا تطلق له الحرية أبداً .

وكل ذلك محله في الأمل في الخير المشروع ، أما الأمل في الشر فذلك مذموم على كل حال ، فإذا كانت الآية التي في السؤال تدم الأمل فلا تدمه لذاته بل لأنه يلهي عن الله وعن الآخرة . وسيعلم الكفار عاقبة ذلك يوم القيامة . روى البزار في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أربعة من الشقاء : جمود العين - أي عدم البكاء - وقساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا» وروى حديث يقول «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والأمل»^(٤) .



١ - رواه الترمذي وابن حبان . ٢ - رواه مسلم .

٣ - رواه البخاري ومسلم .

٤ - ذكره القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢ ، ٣ ، رواه ابن أبي الدنيا والخطيب «الجامع الكبير للسيوطي» وذكر كلاماً عن أبي الدرداء والحسن البصري في التحذير من الأمل الدنيوي العريض .

- س : نريد توضيحاً لتعبير «أما بعد» من جهة المعنى والإعراب ؟
- ج : جاء في حاشية الصاوي على شرح الدردير على منظومته «الخريدة» أن «أما بعد» يتعلق بها تسعة مباحث ، على النحو التالي ؟
- ١- «أما» حرف يفيد التأكيد نائب عن «مهما يكن» .
 - ٢- موضعها -يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر ، أي من غرض إلى آخر ، فلا تقع بين كلامين متحدين ، ولا أول الكلام ولا آخره .
 - ٣- معنى بعد ضد قبل ، وتكون ظرف زمان كثيراً ، و ظرف مكان قليلاً .
 - ٤- إعرابها - لها أربع حالات ، تعرب في ثلاث وتبنى في واحدة كما هو مشهور .
 - ٥- العامل فيها - هو «أما» على أنها من متعلقات الشرط ، أو الجزاء على أنها من متعلقاته فالتقدير على الأول : مهما يكن من شيء بعدما تقدم ، وعلى الثاني مهما يكن من شيء فأقول بعدما تقدم ، وجعلها من متعلقات الجزاء أولى .

٦- حكم الإتيان بها - الاستحباب ، اقتداء بالنبي ﷺ لأنه كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته وفي البخاري ستة مواضع أتى بها في كلامه^(١) .

٧- أول من تكلم بها ، فيه خلاف نظمه بعضهم في قوله :

جرى الخلف أما بعد كان بادئاً

بها خمس أقوال وداود أقرب

وكانت له فصل الخطاب وبعده

فَقُسُّ فسحبان فكعب فيعرُب

٨- الفاء بعدها رابطة للجواب .

٩- أصلها مهما يكن من شيء .



١- الزرقاني على المواهب ج٧ ص٣٨٦ .

س : في القرآن أوصاف متعددة للنفس ، فهل هي نفس واحدة أو عدة أنفس ؟
ج : للنفس إطلاقات كثيرة ، فقد تنطلق على الذات وعلى الدم كما يقول الفقهاء «وما لا نفس له سائلة إذا وقع في الإناء ومات فيه فإنه لا ينحسه» وتطلق على غير ذلك ، والذي يهمننا هو إطلاقها على اللطيفة الربانية التي هي الأصل الجامع لقوتي الغضب والشهوة في الإنسان كما يقول أهل التصوف : لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، وكما يعبر عنه القول المشهور – وهو ليس بحديث – أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك وقد يراد بالنفس ذات الإنسان وحقيقته ، وهي على كل حال من أعظم الدلائل على قدرة الله في خلقها وأسرارها قال تعالى في قسمة بها ، وهو لا يقسم إلا بالعظيم الخطير ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس : ٧-١٠] أي من دنسها بالمعاصي .

إن هذه النفس توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ، فإذا سكنت لأمر الله ولم تعارضها الشهوات سميت النفس المطمئنة ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨].

وإذا قبلت أمر الله ومع ذلك قامت بمدافعة الشهوات واعترضت عليها سميت النفس اللوامة ، لأنها تلوم صاحبها عند التقصير في الطاعة ، قال تعالى ﴿ وَلَا تُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾ [القيامة : ٢] فإن أذعنت للشهوات ولم تعترض عليها وأطاعت الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال تعالى ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعْتَنِي ۚ ﴾ [يوسف : ٥٣].

فأحسن أنواعها هي النفس المطمئنة ، ثم النفس اللوامة التي يعبر عنها أحياناً بالضمير حين يحاسب الإنسان بعد الفعل وعندما يتربى يرشده إلى الخير قبل الفعل ، ويجرسه في أثناءه ويرضى عنه بعد انتهائه .

ومهما يكن من شيء فهي ليست نفوساً منفصلة ، ولكنها نفس واحدة لها عدة أحوال ، ويمكن بالتربية الدينية أن يتغلب الإنسان على شهواته التي تدفعه إلى

السوء وأن يجعل ضميره حياً يقظاً يأمره بالخير وينهاه عن الشر ، وأن يتصاعد في التربية العملية حتى إلى حالة أو مقام تكون نفسه فيه راضية مطمئنة^(١).



س : يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء : ٥٩] فمن هم أولو الأمر الذين تجب طاعتهم ؟

ج : كما تجب طاعة الله ورسوله فيما جاء في القرآن والسنة تجب طاعة أولى الأمر فيما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة ، وللمفسرين أقوال في المراد بهم ، فقيل : هم الحكام والولاة والأمراء ، وقيل : هم العلماء وأهل القرآن ، وقيل هم أصحاب النبي ﷺ عامة وقيل : هم أبو بكر وعمر ، وقيل : هم أولو الرأي والعقل الذين يدبرون أمور الناس . وهذه الأقوال في قوتها على هذا الترتيب ، فأقواها أنهم الحكام والولاة والأمراء ، لأن نظام الجماعة منوط بهم ، وتجب طاعتهم فيما فيه مصلحة وليس معصية لله . وإذا كان من قواعد الحكم في الإسلام الشورى فيما لم يرد فيه نص فإن الحاكم أو الولي أو الأمير إذا عرض له أمر يستشير أهل العلم أو الرأي والخبرة ، فإذا اختلفوا يعرض الأمر على القرآن وعلى الرسول في حياته ، وعلى سنته ، بعد مماته ، فهما الحكم عند التنازع .

ومما يقوي هذا الرأي ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن حذافة السهمي حين بعثه الرسول في سرية رئيساً وقائداً على جماعة في الغزو ، وكانت له دعايات معروفة ، ومن دعايته أنه أمر من معه أن يوقدوا ناراً ثم أمرهم بالتقحم فيها ، قائلاً : ألم يأمركم الرسول بطاعتي ؟ فأبوا وقالوا : ما آمننا بالله واتبعنا رسوله إلا للنجو من النار ، فصوّب الرسول فعلهم وقال : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء : ٢٩] .

١ - للمزيد من المعلومات يرجع إلى « إحياء علوم الدين للغزالي » وإلى كتب الأخلاق والتصوف .

فأولو الأمر من يُلُون أمور الناس في أي منصب ما دامت لهم سلطة الأمر والنهي، وكان منهم أيام الرسول ﷺ عماله على القبائل والبلاد وأمراء الجيش وولاته على القضاء وجباية الأموال .

وطاعتهم واجبة في الدين في غير ما يتصادم مع القرآن والسنة وأصول الدين، وفي الدنيا فيما فيه مصلحة ، والتنازع في الرأي وهو مظهر الشورى يكون في غير المنصوص عليه والمفروغ من حكمه .

والاحتكام عند النقاش يكون للأصل الثابت عن الله ورسوله ، لا إلى مواضع أو أعراف أو قوانين تضاد الشريعة ، ذلك خير وأحسن تأويلاً.



س : هناك أمور كان أول ظهورها على يد بعض الحكام المسلمين ، فهل لهم أجر على ذلك ؟

ج : معلوم أن الاجتماع البشري في تطور ، تحدث فيه أشياء لم تكن من قبل . دعت إليه الظروف واقتضتها الأحداث ، فما كان منها خيراً كان لمن أحدثها ولمن سار عليها ثواب ، وما كان غير ذلك كان فيه العقاب ، فقد صح في الحديث «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

والمسلم يطمئن بوجه عام إلى ما أحدثه الخلفاء الراشدون من خير ، لأننا مأمورون باتباع هديهم كما قال النبي ﷺ «وإنه من يعش منكم فسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ»^(٢).

١- رواه مسلم وغيره.
٢- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وهناك أمور حدثت أول ما حدثت على أيدي الخلفاء الراشدين فصارت سنة متبعة ، منها ما ذكره السيوطي^(١) حيث قال:

قال العلماء : أول من اتخذ بيت المال ، وأول من سمي المصحف مصحفاً أبو بكر الصديق . وأول من أرخ بالهجرة ، وأول من أمر بصلاة التراويح ، وأول من وضع الديوان عمر بن الخطاب ، وأول من زاد الأذان في الجمعة ، وأول من رزق المؤذنين عثمان بن عفان .

ثم ذكر السيوطي أوليات لكثير من الخلفاء والأمراء والملوك لا يلزم الاقتداء بهم فيها ، فأكثرها دنيوي تنظيمي ، يخضع لبيان حكم الشرع فيها من الأدلة المعتمدة.



١- تاريخ الخلفاء ، ص ١٦ .